Received: 6 / 3 / 2024 Accepted: 30 / 4 / 2024 Published: 10 / 10 / 2024

النقدية في الفكر الجغرافي السياسي والمنطلقات الفكرية للعلاقات الأمريكية – الإسرائيلية: فلسطين دراسة حالة

م.د جواد صالح مهدي النعماني

milyf52061@gmail.com

مديرية تربية كربلاء

المخلص

يؤكد تاريخًا من العلاقات المتشابكة قوة العلاقات الأمريكية – الإسرائيلية, وأنها تستند إلى ما هو أبعد من مجرد المصالح المشتركة؛ تستند إلى أسس فكرية وأصول تاريخية وثقافة سياسية مشتركة. من جانب آخر يبرز الاتجاه النَقدي في الجغرافية السياسية كونه أكثر مرونة في معالجة هذا النوع من الأفكار والمعتقدات ودور النُخب السياسية في خلق الحقائق الجيوسياسية المؤثرة في قوة الدولة والعلاقات الدولية.

وقد تناول البحث منطلقات العلاقة في ثلاثة متغيرات: الجذور الدينية, التاريخ السياسي, الثقافة السياسية. واعتمد تتبعها في عدد من المصادر والنصوص الدينية والتاريخية والخطاب السياسي, مضافًا إلى الدراسات الجيوسياسية والسياسية التي أهتمت ببحث أصول العلاقة.

وقد انتهى البحث الى أن الجذور الدينية متحملة ومعبأ بالأبعاد والدوافع الجيوسياسية؛ في حين أدت التطورات التاريخية إلى ربط إسرائيل بالجيوسياسية الأمريكية الإقليمية والعالمية, وإلى دعمها من مجرد جماعة دينية متطرفة إلى جماعة قومية جيوسياسية, وقاعدة عسكرية أمريكية متقدمة في الشرق الأوسط؛ في حين عمِلت الثقافة السياسية على وحدة السياسات والممارسات تجاه القضية الفلسطينية وقضايا المنطقة.

الكلمات المفتاحية: الجغرافية السياسية النقدية،المنطلقات الفكرية، الثقافة السياسية

Geopolitical Thought and Critical Approach to the Intellectual Foundations and Political Culture of US-Israeli Relations: Palestine as a Case Study

Lect. Dr. Jawad Salih Mehdi Al Nu'mani
Karbala Education Directorate

Abstract

A history of intertwined relations confirms the strength of US-Israeli relations, and that they are based on more than just common interests; they are based on religious roots, historical origins, and a common political culture. On the other hand, the critical trend in geopolitics stands out as being more flexible in dealing with this type of ideas and beliefs and the role of political elites in creating geopolitical facts that influence state power and international relations.

The research addressed the starting points of the relationship in three variables: religious roots, political history, and political culture. It relied on tracking them in a number of religious and historical sources and texts and political discourse, in addition to geopolitical and political studies that were interested in examining the origins of the relationship.

The research concluded that religious roots are tolerant and filled with geopolitical dimensions and motives; while historical developments led to linking Israel to regional and global American geopolitics, and to supporting it from a mere extremist religious group to a geopolitical nationalist group, and an advanced American military base in the Middle East; while political culture worked to unify policies and practices towards the Palestinian issue and regional issues.

Keywords: Critical Geopolitics, Intellectual Foundations,Political Culture.

المقدمة:

تتسم العلاقات الأمريكية – الإسرائيلية بالخصوصية الشديدة, أسهمت بإنتاج إسرائيل ومستمرة بفرضها كقوة إقليمية فاعلة على خريطة توازنات القوى الإقليمية في المنطقة من خلال دعمها عسكريًا واقتصاديًا وتكنولوجيًا.

من جانب آخر يكشف الخطاب السياسي ووحدة المواقف والسياسات تجاه القضية الفلسطينية الشرق الأوسط عن وحدة المنطلقات الفكرية والثقافة السياسية. وبحيثية لا يمكن معها فهم طبيعة العلاقات الأمريكية – الإسرائيلية والغربية عامّة, مجردة عن تلك المنطلقات والأبعاد وسياقها التاريخي والثقافي, مما أسهم بإنتاج إسرائيل وإعادة إنتاجها على المستوى الوطني والدولي لِما يقرب من قرن ونيّف من الزمان.

من ثمَّ فإن بحث هذه الأبعاد من منظور الجغرافية السياسية النَقدية, يُحيلُنا وباعتماد المنهج التاريخي إلى فهم السياق والظروف الذاتية التي تولّدت عنها وتطوّرت خلالها تلك العلاقة, ويُحيلُنا باعتماد المنهج التحليلي إلى رصد النسق الثقافي وكيفية استخدام الأفكار والمعايير والمعاني في إنتاج الظاهرة.

وأهمية ذلك في إضفاء التحليل النوعي للظاهرة الجيوسياسية؛ ومدى تأثيرها في مواقف وتوجهات والسياسة الخارجية للولايات المتحدة وإسرائيل. وفي ذات الوقت في إبراز مدى ازدواجية المعايير وتهافت المواقف في سياسة الولايات المتحدة والغرب تجاه إسرائيل واتجاه ذات الأحداث والقضايا للدول الشرق الاوسطية والأفريقية والأمريكية الجنوبية.

مشكلة البحث:

يتلخص تساؤل البحث حول: ماهيّة الأسس والمنطلقات الفكرية والثقافية للعلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل؟ وكيف أثّرت في مواقف وتوجهات الساسة والنُخب والمجتمع الأمريكي تجاهها, وتجاه توجيه السياسة الأمريكية لصالحها فيما يبدو سياسة وطنية ثابتة.

فرضية البحث:

نفترض تصنيف تلك الأسس إلى ثلاثة أبعاد: جذور دينية توراتية وإنجيلية ذات دلالات جيوثقافية ودوافع جيوسياسية لإنتاج ودعم إسرائيل. وسياق تاريخي أسهم بربطها بالرأسمالية والإمبريالية الأمريكية في المنطقة. وثقافية سياسية شكَّلت وحدة الأسلوب والممارسات تجاه القضية الفلسطينية وقضايا المنطقة.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث في دراسة العلاقات من منظور النَقدية في الجغرافية السياسية؛ كاتجاه معاصر يستهدف إضفاء التحليل النوعي للعلاقات الجيوسياسية, حيث تأثير القيم والأفكار والسياق التاريخي والنَسق الثقافي في تطوّر الظاهرة الجيوسياسية, من ثمَّ في توجهات الساسة والنُخب والشعوب تجاه تلك الظاهرة, وبالتالي مدى تأثيرها في العلاقات الدولية. ومن هنا يُعلم هدف البحث في الكشف عن أهمية الأفكار والبعد الثقافي ومدخليّتهما في التفكير الجيوسياسي ورسم السياسة الخارجية الأمريكية والغربية بشكل عام تجاه فلسطين والمنطقة.

مناهج البحث:

لأثبات أو نفي فرضية البحث وإبراز الهدف منه اعتمد الباحث: المنهج التاريخي في تتبع الجذور الدينية والتاريخية والظروف الموضوعية التي تولّدت عنها وتطوّرت خلالها العلاقات الأمريكية – الإسرائيلية. والمنهج التحليلي في تقصي الأفكار وصناعة المعاني التي شكَّلت النسق الثقافي والثقافة السياسية ودورها في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه إسرائيل.

المحور الأول: الاتجاه النَقدي والأبعاد الجيوسياسية في الإيديولوجية الصهيونية

بداية يهتم الاتجاه النَقدي في الفكر الجغرافي السياسي المعاصر ببحث ومعالجة متغيرات ما بعد الحداثّة, وكيفية تأثيرها في قوة ومواقف الدول وسياساتها الخارجية؛ حيث الأفكار والمعتقدات ولغة الخطاب السياسي والسياسات النقدية والمصرفية وجذب رؤوس الأموال ونحوها أكثر تأثيرا في تفعيل الحقائق الجغرافية. وعليه فهي أكثر مرونة في معالجة وحدة المنطلقات الفكرية والمعرفية ومدى التناقضات الثقافية للعلاقات محل البحث, وكيف أثّرت معتقدات وتوجهات وما يعتنقه الأفراد من معانٍ في الجغرافية السياسية لفلسطين والمنطقة. باعتبار أن الحقائق الجغرافية في منظور النَقدية متغيرة تبعا لنتاجات الأفكار وإنتاج الحقائق حول الأماكن وتمثيلات النُخب العالم مُنفعلاً لأنواع مُتباينة من الهُويّات والثقافات والبُنى الحضارية والاقتصاد السياسي (لغوتسكا، 2018)

ونتيجة ذلك معاينة الجغرافية السياسية كخريطة مُتحركة لأبرز تحوّلات الأفكار والتيارات وكيفية إنتاجها فضاءات مكانية, تسهم في إنتاجها ترتيبات معيارية ورَمزيَّة مضافة إلى بيئتها المادية. من ثمَّ النظر في الظاهرة الجيوسياسية لا بموقعها الجغرافي وبعدها المساحي المجردين, بعد أن يتم تنظيمهما بشكل معياري بواسطة جهات متعددة مختلفة الأهداف والتوجهات ومنتجة للمعاني والرؤى والأفكار (Susen, 2014, p. 4).

من جانب آخر فإن الجغرافية السياسية في مقاربتها العلوم السياسية والعلاقات الدولية في تناول العلاقات الدولية, فإن الواقعية الجديدة فيهما باتت أيضًا أكثر اقترابًا من المثالية وأكثر اهتماما بمكامن أوسع للقوة في الشؤون العالمية. وهذه المكامن مضافة إلى البعد الاستراتيجي والاقتصاد السياسي وهو أشدها حساسيّة وفاعليّة: هي مجموعة الأفكار والبنى الثقافية والأيديولوجية والخطاب السياسي ودور الإعلام. حيث معاينة الدول لا باعتبارها سلسلة من الكيانات المتشابهة, وإنما أشكال للسلطة مختلفة إيديولوجيًا وثقافيًا وحضاريًا(Robert W. & Michael G. , 2003) .

على أن تلك الأفكار والرّموز تختلف بالنسبة لإسرائيل, فبينما تمثّل لبقية الدول هُويّة وتوجهات النظام والدولة الوطنية؛ وشعور سكانها العميق بالانتماء لها (Newman, 2002). فهي لإسرائيل أبعد من ذلك, إذ تشكّل قوام أيديولوجيتها وأساس قيامها, وهي فعلٌ غائيٌ لهوُيَّة يهودية وغرس شعور بالانتماء في بيئة جغرافية جديدة مغايرة ومعادية من جهة, وأداة لإقناع شعوب العالم بالأطر الإيديولوجية لتلك الهُويّة المفترضة من جهة أخرى (Ohana, 2019).

ذلك أن جوهر الصهيونية هو عملية ربط الأيديولوجية بالأرض والهُويّة بالتاريخ, وبعبارة أخرى أن الإيديولوجية الصهيونية تقوم على بعد مساحي, هو الحيّز الجغرافي لفلسطين, ثم إيجاد روابط دينية وتاريخية لربط يهود العالم به, من ثمَّ العمل على استغلال توق اليهود وارتباطهم الوجودي بفلسطين لا بوصفها بديلًا آمنًا عن أوروبا حينها, وإنما بوصفها منطلق الأمة اليهودية ومصدر حيويتها وتجددها.

وإذ جسدت المصالح البريطانية هذا البعد في الإيديولوجية الصهيونية خلال النصف الأول من القرن المنصرم, فقد جسدته استراتيجيات الولايات المتحدة في المنطقة فيما بقي منه والآن. بالمقابل فقد عمِلت الصهيونية مبكرا بدعم بريطاني بشكل خاص على ربط اليهود كأقلية قومية بفلسطين أو بالإقليم الجغرافي شرق المتوسط (دولة إسرائيل الكبرى), ولإيجاد الزخم بين أفراد الشعب اليهودي وشعوب العالم, تأطير تلك العملية بأطر دينية وتاريخية وثقافية أسهمت ببناء الشخصيّة اليهودية بنزعتها العدائية وبإنتاج سياسة إسرائيل العدائية تجاه فلسطين والمنطقة.

أما ادعاءات بعض منظري اليهود من قبيل دعوى المؤرخ اليهودي (شلومو دوف غوتين) من: أن اليهود كانوا من سكان البحر المتوسط, وأنهم لم يكونوا يوما معزولين في مساحتهم [يقصد الشرق الأوسط أو آسيا], وانهم عاشوا في دول أورو متوسطية ورثت ثقافتها الكلاسيكية ودمجتها في الثقافة الإسلامية (Goitein , 1988). فيكذبها الإيديولوجية الصهيونية وسياسة الولايات المتحدة والغرب عامّة المفهمة: تقييم إسرائيل كيانًا دخيلًا يمثّل امتدادا لقيم الغرب ومصالحه خاصّة؛ وتقييم الشرق كبيئة غريبة ثقافيًا ومعادية دينيًا وحضاريًا ومكان "للآخر", وذات الأمر بالنسبة للشعب اليهودي خاصَّة من يجد نفسه منهم امتدادًا للثقافة الغربية وليس نتاجًا للتشكيلات الثقافية على جانبي المتوسط, وبالتأكيد ليس الثقافة العربية. لتغدو اليهودية عمليًا مزيجا مشوها من اليهودية التاريخية والقيم الغربية الحداثية (Ohana, 2019).

وهذا الاستنتاج يبدو دقيقًا إذما التفتنا إلى ربط الصهيونية مبكرا قيام إسرائيل بالخريطة الجغرافية السياسية للإمبريالية العالمية. حيث سيمنح استعمار فلسطين الغرب قوى الاستعمار موطئ قدم متقدم في قلب الشرق الأوسط وعلى واحد من أوسع البحار نشاطًا تجاريا في العالم؛ وأبلغها في الفصل الثقافي بين عدَّة عوالم حضارية وثقافية واقتصادية مختلفة, بين الشرق والغرب أو على جانبي المتوسط سواء. وذات البعد الثقافي في تصوَّرات هرتزل لعلاقة الكيان المقترح بالغرب في أن "الدولة اليهودية": "بالنسبة لأوروبا سوف نشكل حصناً ضد آسيا، وسنعمل كحراس للثقافة ضد الهمجية". وبالمثل رؤية أول رئيس وزراء لإسرائيل دافيد بن غوريون "على الرغم من أننا شعب شرقي، إلا إننا أصبحنا شعبًا أوروبيًا، ونرغب في العودة إلى أرض إسرائيل منطقة جغرافية فقط, هدفنا هو خلق ثقافة أوروبية هنا، ونحن على أية حال مرتبطون بالقوة الثقافية الكبرى في العالم, طالما أن الأساس الثقافي في هذا الجزء من العالم لم يتغير" (Ohana, 2019, p. 12).

المحور الثاني: الجذور الدينية ودلالاتها الجيوسياسية

شكّلت الجذور الدينية دوافعًا جيوسياسية للفكر اليهودي والغربي عامة تجاه فلسطين والمنطقة العربية. وسيأتي أنها تسهم إلى حد كبير في تحديد توجهات هذه القوى وسياساتها تجاه المنطقة. وعامّة ترجع الجذور الدينية للعلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل إلى أبعد من ظهور الصهيونية نفسها أواخر القرن التاسع عشر, أعني إلى الفكر البروتستانتي والتأملات اللاهوتية ونبوءات العهد القديم والجديد حول الدور الذي ستلعبه هجرة اليهود في عالمية الحضارة الغربية. ولأن سادت هذه الأفكار أوروبا المسيحية منذ القرن السادس عشر, فقد انتقلت راسخة في الثقافة الدينية للمستعمرين الأوائل ممَن أسسوا الولايات المتحدة. فكانت جزءا من نهجهم السياسي وثقافتهم الاجتماعية والأخلاقية لاسيَّما مَن ربط منهم مستقبل وعالمية الحضارة الأمريكية بضمان استعادة اليهود فلسطين, باعتبارهم شعب عهدٍ مع الله وباعتبارها محور الأحداث في مخطط نهاية الزمان (WILLIAMS, 2019).

وذات الفكرة من تأطير اليهودية بالبعد المكاني لفلسطين وبعالمية الحضارة الأمريكية لم تختلف بعد تنامي الوجود الأوروبي في أمريكا, بل تنامت مع تعدد الطوائف البروتستانتية والكاثوليكية والحركات الأمريكية المتولّدة عنهما خلال القرنين السابع والثامن عشر, إذ أظهرت الطوائف البروتستانتية من الإنجيليتين والمشيخيين واللوثريين على الساحل الشرقي للولايات المتحدة مبدأ لاهوتيًا حول هداية اليهود بشروط العهد [بالعودة إلى فلسطين]؛ في حين ربطت حركات الإحياء والطوائف المتولّدة عنها من الميثوديتين والمعمدانيين والمتطرفة من السبتيين والمورمين وشهود يهوه؛ استعادة اليهود لفلسطين بالرؤية الدينية للألفية الجديدة (Smith, 2013).

وحيث أن المجتمع الأمريكي كما الأوروبي كان مفتقرا للثقافة السياسية حول فلسطين والمنطقة قبيل حركة الاستعمار؛ سوى ما تم تأطيره من روايات الكتاب المقدس عن الأرض المقدسة وعن موطن يسوع ودور المسيحية التي حلَّت محل اليهودية في منافسة الإسلام؛ فقد لعبت البعثات الاستكشافية والتبشيرية الأمريكية من قِبل المجلس الأمريكي متعدد الطوائف إلى فلسطين حتَّى عام 1819؛ دورا حاسمًا في تشكيل الثقافة الشعبية الأميركية حول فلسطين مؤطرة بأطر دينية وثقافية, فضلًا عن تصّويرها بالمنطقة الخالية من السكان والمعدمة اقتصاديًا والمضطهدة ثقافيًا (Hummel, 2019).

بهذه الحيثية لم تختلف الرؤية الأمريكية حول هجرة اليهود عن الفكر الأوروبي بل مثّلت امتدادا له ونسخة عنه, سواء في مثاليّة حركة الاسترجاع البروتستانتية التي سادت أوروبا منذ القرن السادس عشر, وأيديولوجيتها عن إرجاع اليهود إلى فلسطين مقدمَة لتنصيرهم أو شرطا لحكم المخلص العالم الألفية القادمة؛ أو في ملامستها الواقعية حين ارتباطه بحركة الكشوفات الجغرافية والمرحلة المتقدمة من الاستعمار المركنتيالي وارتباطه بنمو رؤوس الأموال واتساع نطاق حركة التجارة الأوروبية, في ظل تعاظم مشكلة القومية اليهودية وسط وشرق أوروبا منذ القرن التاسع عشر (المسيري، 1982).

وعمومًا بقدر ما كانت فكرة إرجاع وتوطين اليهود في فلسطين نابعة من معتقدات دينية وتاريخية, فإنها لم تكن خالصة تمامًا عن جملة من الاعتبارات الجيوسياسية, من قبيل استعمار الأراضي والسيطرة على المواقع الاستراتيجية ونقاط الاختناق العالمية. وجميعها راسخة في أذهان المستعمرين الأوروبيين الأوائل, انتقلت معهم استمرارا لأفكار الصهيونية المسيحية والأصولية البروتستانتية. من ثمَّ فإن جعل اللغة العبرية مادة إلزامية, وقدرة الطالب على ترجمة الأصل العبري للكتاب المقدس شرطًا للقبول في جامعة هارفرد حين تأسيسها عام 1639, ينبأ بالدور الذي ستلعبه تلك الأفكار في تشكيل العقلية السياسية النخبوية والشعبية الأمريكية, ومدى نفوذ اليهودية في التاريخ المبكر للولايات المتحدة (Parrington, 1920).

لاسيّما وقد مارست المجموعات المسيحية – من قبل وحين قيام الجمهورية الأمريكية – دورا كبيرا في ربط الحركات الاستعمارية باللاهوت المسيحي الأمريكي وبالدين المَدني ونصوص سفر أعمال العهد الجديد فيما يخص كنيسة القدس وفلسطين, وتعاليم بعض تلك المجموعات: بلابديّة أن يسبق إعادة اليهود إلى فلسطين بناء صهيون ثان في أرض أخرى [الولايات المتحدة] لأنهم واليهود متساوون في خطط الله ومسؤوليات العهد المشتركة للقرن العشرين (Hummel, 2019).

من جانب آخر وبعيدا عن المجموعات الدينية والرأسمالية لم يكن اليهود الأمريكيين في تلك المرحلة ميّالين للاهتمام بالمشكلة اليهودية المتفاقمة في أوروبا, لئلا يتم تمييزهم كأقلية قومية أو دينية من قبل الأغلبية المسيحية. من ثمَّ فقد عزز هذا الاتجاه صعود اليهود الإصلاحيين وتفضيلاتهم حول تعميم نصوص ونبوءات الكتاب المقدس في سياسات الإنسانية والليبرالية والنزعة التجديدية, مع الحفاظ على وضعهم كمجموعة عِرقية متميزة ضمن المجتمع الأمريكي ولكن دون عبء لاهوت التوراة ونبوءات الإنجيليين, لأنها تمنع من اندماج اليهود في الحياة الأمريكية, وهو اتجاه لايزال موجود بين بعض الاوساط اليهودية إلى الآن (Sarna, 2019).

غيّر أن ذلك الوضع لم يؤثر في أن تأخذ المسألة اليهودية بُعدا سياسيًا في الولايات المتحدة حتَّى من قَبل مؤتمر هرتزل الأول عام 1897. إذ قُدّمت مجموعات مسيحية ويهودية ما عُرف بعريضة "بلاكستون التذكارية" إلى الرئيس الأمريكي هاريسون عام 1891, موقعة من قبل أكثر من (400) شخصية سياسية وقانونية ودينية بأغلبية بروتستانتية؛ لإقناعه بالضغط على السلطان العثماني لتسليم فلسطين لليهود, وسط مناشدات العدالة والإنسانية واستدرار العواطف في ضوء معاناة يهود شرق أوروبا، وعامَّة بقدر ما كانت العريضة مسيحية بقدر ما كانت كاشفة عن أن توطين اليهود في فلسطين بدأ يتأطر سياسيًا كقيمة إنسانية أمريكية (Hillary, 2013).

لاسيَّما مع وصول قيادات صهيونية إلى المناصب الإدارية والسياسية, ولعل أهمها ترشيح الصهيوني لويس براندیز إلى المحكمة الأمريكية العليا, والذي كان له بالغ التأثير في هجرة اليهود خلال الحرب العالمية الأولى, وفي دفع المسألة اليهودية باتجاهين:

الأول: استقطاب اليهود الإصلاحيين بإظهار موائمة الإيديولوجية الصهيونية للمصالح الأمريكية باعتبارها قيمة إنسانية وليبرالية عليا.

الثاني: إحياء عريضة بلاكستون لتحصيل دعم الرئيس ويلسون لوعد بلفور. ومع وجود أكثر من (1000) منظمة صهيونية عام (1900) بينها أكثر من (100) منظمة في الولايات المتحدة قبيل الحرب العالمية الأولى, تلقت الصهيونية ثقلًا سياسيًا ودعمًا شعبيًا كافيًا أكسباها استمرارية واعترافًا أمريكيًا رسميًا لأول مرة بمشروعية الصهيونية في فلسطين عام 1917 (Burnidge, 2017).

لتغدو المسألة أكثر تعقيدا من مجرد المثاليَّة بحيث لا ينبغي استبعادها, بعد أن عَبرت عن نفسها كإيديولوجية سياسية وثقافة اجتماعية وسياسية خارجية صارمة تجاه المشروع الصهيوني؛ وكأنها حقًا مشروعًا وغاية نبيلة. ويلخص النائب (ويليام إي. كوكس) من ولاية إنديانا مميز تلك الحالة, بقوله: "لأكثر من ثلاثين قرناً، كانت يهودا فريدة من نوعها ووحيدة بين دول العالم, بمثلها العليا والفوائد التي منحتها للبشرية 000 ولكن بقي عليها وشعبها أن يعطوا البشرية الدين المسيحي الحقيقي 000 وكما قاد موسى بني إسرائيل من العبودية يقوم الحلفاء الآن باسترداد يهودا" (Elizabeth , 2014, p. 24).

والأكيد أن لاهوت اليهودية والمسيحية قد أسهما في وضع الأسس التي قامت عليها العلاقات الأمريكية – الإسرائيلية, ولازالا مؤثرين في السياسة الخارجية للولايات المتحدة, حيث تستخدم النُخب الدينية والسياسية والرأسمالية العالمية ذات المفردات العهدية والاستعارات التوراتية في توجيه السياسة الدولية تجاه إسرائيل, ولاتزال محاولات تقريب أفكار العهد ونبوءات الكتاب المقدس لواقع جيوسياسي فاعلة تجاه فلسطين وكامل محيطها الإقليمي (Elizabeth , 2014).

بناءً عليه يمكن معاينة دور العامل الديني في السياسة الأميركية تجاه إسرائيل في ثلاثة اتجاهات, الأول: تأثيره في معتقدات صناع القرار وفي تقييمهم لمدى أهمية العامل الديني بالنسبة للمجتمع الأمريكي. ثانيًا: دوره في الاعتبارات السياسية الداخلة في حسابات صناع القرار السياسي. ثالثًا: دوره في إبراز أهمية الشرق الأوسط في التفكير الجيوسياسي للولايات المتحدة.

وفيما يخص الأول والثاني فقد ألمحنا إلى دور الجماعات الدينية الإنجيلية واليهودية مبكرا في التأثير في قناعات ومواقف رؤساء وساسة الولايات المتحدة, بحيث أولى جميعهم تقريبًا إسرائيل اهتماما خاصًا في سياسة وطنية أمريكية واضحة المعالم, سواء بتأطير السياسة الخارجية الأمريكية بإظهار القيم والالتزام المتبادل تجاه إسرائيل باعتبارها الحليف الأكثر موثوقية وقدرة في الشرق الأوسط, وبما يشمل الدعم السياسي والعسكري والتأييد الدولي والتعاون في مجالات البحث والتطوير والتكنولوجيا المتقدمة والدعم المالي بضمنه دعم هجرة وتوطين المستوطنين الجدد (Elizabeth , 2014).

أم على مستوى الداخل باستخدام الأطر والمفاهيم الدينية في الحملات والبرامج الانتخابية, الأمر الذي يبدو أكثر أهمية وتأثيرا في المجال السياسي, إذا ما التفتنا إلى أن نسبة المسيحيين في المجتمع الأمريكي تتعدا (75%) بينهم (30 – 35%) من الإنجيليين, ممَن يؤمنون بتنصير اليهود وتوجيه حروب الشرق الأوسط بحسب سفر الرؤيا, حيث إسرائيل يجب أن تنتصر (Nicholas & Getty 2022) ., ولايزال هؤلاء يمارسون تأثيرا سياسيا عِبر مجموعة من المنظمات مثّل: المجلس الأمريكي للكنائس المسيحية, والمجلس العالمي للكنائس المسيحية, والجمعية الوطنية للإنجيليين, ومنظمة الأغلبية الأخلاقية. وبعيدا عن أهمية الأصوليين في نتائج الانتخابات الأمريكية فإن دعم إسرائيل جزء من أجنداتهم السياسية كما هو كذلك في معتقداتهم الدينية (زكاء الله، 2007).

وحاليًا يؤكد رسوخ الإيديولوجية الدينية في العلاقة الأمريكية – الإسرائيلية وحدة الأسلوب في استخدام النصوص الكتابية والاستعارات التلمودية, للتأثير في صناعة رأي عام وطني وعالمي مؤيد لإسرائيل, وفي ذات الوقت في تبرير سياساتها القمعية تجاه

الشعب الفلسطيني. ومن ذلك استهداف الأطفال وممارسات الإبادة الجماعية والتطهير العِرقي ضد المدنيين العزل في قطاع غزة منذ 2023/10/7.

ولعل أجلى صور تلك الاستعارات التوراتية والتلمودية والخطاب الديني المتطرف في الحرب الإسرائيلية الأمريكية البريطانية الحالية على قطاع غزة من قبيل: استعارة وزير الدفاع الإسرائيلي يوآف غالانت: "نحن نقاتل حيوانات بشرية ونتصرف وفقاً لذلك". وبالمثل رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو: "توجد حيوانات متوحشة من المسلمين في مدننا، وعندما تفهم القوى الحضارية خطورة المشكلة لن يتبقى أمامها إلا التوحد لهزم هذه الحيوانات، ويوجد اسم لهذه الحيوانات وهو الإسلام المتشدد". وذات المعنى في وصف مندوب إسرائيل السابق لدى الأمم المتحدة دان غيلرمان الشعب الفلسطيني "إنهم فظيعون وحيوانات مجردة من الإنسانية". ونفي سموتريتش في باريس وجود الشعب الفلسطيني أصلًا حتَّى من قبل عملية طوفان الاقصى, قائلًا: "إن فكرة الشعب الفلسطيني مصطنَعة ولا يوجد شيء اسمه دولة فلسطينية. لا يوجد تاريخ فلسطيني. لا توجد لغة فلسطينية", مظهرا خريطة لإسرائيل بما يشمل كامل غزة والضفة الغربية والأردن (الشوبكي، 2024).

وهذه التوصيفات تساوق معنًا نصوصًا توراتية في تفضيل اليهود انفسهم وتحقير الآخرين, من قبيل: "إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب التي على وجه الأرض" (سفر التثنية ، 7: 6) وفي ضِعة غيرهم: "ويقف الأجانب، ويرعَوْن غنمكم، ويكون بَنو الغريب حَرَّاثيكم وكَرّاميكم 000 أما أنتم فتُدعون كَهَنة الربِّ، تأكلون ثروة الأمم، وعلى مجدهم تتأمَّرون" (اشعياء، 61).

بل وتساوق نصوصًا لفضًا ومعنًا في التصريح بتفرد اليهود بالآدمية وغيرهم بمنزلة البهائم المستفاد من: "إن الأعياد المقدسة لم تُجعل للأجانب ولا للكلاب" (سفر الخروج ، 12: 16), كذا في نسخة البندقية, وفي بعض نسخ امستردام "إن الكلب أفضل من الأجانب، لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس له أن يطعم الأجانب 000 لأنه أفضل منهم" (روهلنج و إشيل ، 1899).

وذات المعنى في استدعاء نتنياهو وتقريباً كل قادة ونخب وشعب إسرائيل نبوءة [إشعياء] "نحن أبناء النور بينما هم أبناء الظلام، وسينتصر النور على الظلام" (سفر الخروج، ، 12: 16).

وأشد تطرفًا وصف التلمود للغير, وهو من الكتب الأساسية في العقيدة اليهودية, "فجميعهم كَفَرة وثنيون لا يقبل الله منهم عبادة ولا عملاً. وهم أنجاس بأصل الخِلْقة، لأنهم ليسوا من جوهر الله، بل خُلقوا من طينة شيطانية، ثم هم حيوانات في صورة إنسان، ولم يُعْطَوا هذه الصورة إلَّا إكراماً لليهود، حتى يحصل الأُنسُ للسيد اليهودي بصورة خادمه، الذي لم يخلق أصلاً إلَّا لهذه المهمة". وكذا "إن أرواح غير اليهود أرواح شيطانية، وشبيهة بأرواح الحيوانات، وأنهم مثل الكلاب والحمير، وإنما خلقوا على هيئة الإنسان حتى يكونوا لائقين بخدمة اليهود.

وأعجب من انحطاط المنزلة وجوب القتل: "لا يجوز لليهودي أن يشفق على غير اليهودي، ولا أن يرحمه ولا يعينه، بل إذا وجده واقعاً في حفرة سدها عليه، ويحرم على اليهودي أن يرد لغير اليهود ما فُقد منهم، والزنا بغير اليهودي ذكوراً أو إناثاً جائز ولا عقاب عليه، وعلى اليهودي أن يسعى إلى قتل الصالحين من غير اليهود" (روهلنج و إشيل ، 1899، الصفحات 66 – 71).

وذات المنطق لدى قادة ونُخب الولايات المتحدة بتأطير عملية طوفان الأقصى بأطر دينية وقومية, منها على سبيل المثال: تأطير الرئيس جو بايدن العملية بـ"معاداة السامية", و"بالحرب ضد اليهود" و"بالشر الخالص المحض", وحماس بـ"جماعة هدفها المعلن هو قتل اليهود". وذات الأمر في دفع العمليات العسكرية الإسرائيلية وتوجيهها بأطر دينية وتاريخية, في تصريح الرئيس السابق والمرشح الحالي دونالد ترامب: بحق إسرائيل في كامل يهودا والسامرة [الضفة والقطاع] وأن عليهم تخليص الأمر [أي بالاستيلاء عليهما وتهجير الفلسطينيين منهما]". وتأكيدات أنتوني بلينكن: "أنا أتي إسرائيل كيهودي قبل أن أكون وزيراً لخارجية أمريكا". وتصريحات السيناتور الأمريكي ليندسي غراهام لقناة "فوكس نيوز": "نحن في حرب دينية 000 قوموا بكل ما يتوجب عليكم القيام به للدفاع عن أنفسكم، قوموا بتسوية المكان" (صالح، 2023).

وتؤكد هذه الاستعارات فاعلية التصوّرات الدينية في تعبئة القواعد الشعبية وصناعة الرأي العام الداعم لإسرائيل, كما تؤكد الدور الثابت للنصوص الكتابية في التاريخ السياسي للعلاقة بين إسرائيل والغرب عامَّة والولايات المتحدة بشكل خاص منذ صعود الصهيونية أواخر القرن التاسع عشر ثم تأسيس إسرائيل 1948 وحتَّى وقتنا الحاضر.

وهي من الأهمية بمكان بحيث تجعل من إسرائيل مثالًا لمدى تأثير الدين في السياسة وإلى أي مدى تم توظيفه في توجيه سياسة الغرب تجاه إسرائيل، وأن الإيديولوجية الدينية كما أسهمت بإنتاج إسرائيل باعتبارها دولة ذات أهمية دينية توراتية وإنجيلية خاصة, أسهمت أيضًا بإنتاج مواقف وأحكام مسبقة تجاهها وتجاه الشعب الفلسطيني وعموم الإسلام في الشرق الأوسط.

من ثمَّ فقد عمِلت إسرائيل منذ اوائل القرن الحادي والعشرين على ترسيخ قوة العلاقة ووحدة الأهداف الدينية مع الولايات المتحدة على مستوى القواعد الشعبية, بإعطاء العلاقة بُعدا ثقافيًا, وجعلها مواضيع للفنون والآداب والأنشطة السياحية. فمثلًا: بلغ عدد السائحين الإنجيليين القادمين من الولايات المتحدة إلى الأراضي المقدسة نحو (300.000) سائح سنويًا للمدَّة بين 2000 – 2010, واحتفظت بالصدارة للسنوات اللاحقة. فضلًا عن إدارة متدينين يهود ومسيحيين برامج سياحية موجهة لطلبة المدارس بهدف غرس هُويّة إسرائيل في أذاهنهم في سن مبكرة. وحقق الأدب الموجه نحو النبوءة نجاحًا هائلاً في الولايات المتحدة, فمثلًا: بيعت عشرات الملايين من النسخ لسلسلة (Left Behind) للمدَّة 1995 – 2007 (Hummel, 2019).

المحور الثالث: السياق التاريخي وتنامي دور إسرائيل في استراتيجيات الولايات المتحدة

بينما مثّلت الأفكار الدينية منطلقات راسخة لدى اليهود والأمريكيين تجاه فلسطين التاريخية والشرق الأوسط. يؤكد السياق التاريخي تنامي أهميتهما في التفكير الجيوسياسي للولايات المتحدة كقوة عالمية مهيمنة. من ثمَّ فقد ارتبط سياق الأحداث حول مدى أهمية قيام إسرائيل للولايات المتحدة والغرب عامّة؛ بقراءة اليهود لتجربة الحروب الصليبية ضد المسلمين والتواجد الصليبي على أرض فلسطين, وبتطوَّر المسألة اليهودية في قارة أوروبا والولايات المتحدة.

وفيما يخص الحقيقة الأولى: فالذي يظهر أن ساسة ومفكرو الصهيونية والغرب أيضًا قد ناقشوا سؤالًا رئيسًا واجهه الصليبيون حين غزوهم فلسطين, حاصله: ما الكيفية لإقامة مركز مسيحي وسط الشرق الإسلامي يكون مختلفًا عن محيطه عِرقيًا, ودينيًا, وثقافيًا؟ مركزا ينشئه الغرب يمثّل مصالحه ويكون امتدادا له بقيمه الثقافية والحضارية.

وبحسبه ما الكيفية لإقامة دولة يهودية في قلب العالم الإسلامي, تختلف عنه في الأصل والدين والثقافة واللغة؟ مركزا تنشئوه وترعاه قوى خارجية غربية (Ohana, 2019, p. 18).

ذلك أن مملكة بيت المقدس (الصليبية) في مدينة عكا للمدَّة من 1099 – 1291؛ قد مثَّلت سابقة تاريخية بالنسبة لليهود. وبحيثية دفعت بعض ساسة ومنظرو اليهودية لبحثها وتقصي عوامل انهيارها, مما تعمل أو ممكن أن تعمل في غير صالح إسرائيل. من ثمَّ فقد تكررت عبارات: "لا تكرروا أخطاء الصليبيين", وقد أشار المؤرخ الإنجليزي (أرنولد توينبي) في "دراسة للتاريخ" إلى أن الصهيونية استعمار حديث. مُوجِهًا "إن التماهي الروحي العميق مع البلد وماضيه ومستقبله هو الذي سيجلب لهم اليقين, عليهم أن يفهموا كل ما يتعلق ببلدهم وإن لم يتعلق باليهود فهو مرتبط بهم مباشرة, عليهم أن يتعلموا تاريخ البلد وحتى تاريخ الصليبيين لأنه ملك لهم" (Ohana, 2019, p. 22).

وفي ذات السياق خلص المفكر الصهيوني مناحيم هاران إلى: أن أهم اسباب انهيار مملكة بيت المقدس هي: إحاطتها بشرق عربي إسلامي موحد وقوي, الاستقرار في المدن وترك معظم المناطق الريفية المنتجة للمسلمين المحليين, قلة المستوطنين وضالة الهجرة المسيحية.

وبالنسبة لليهود فيجب أن تتوجه سياستهم حيث: أن الميزة الديمغرافية العربية في فلسطين وضعاً لا يمكن تغييره؛ فلابد من التأكد من عدم حصولهم على ظهير إقليمي موحد بما فيه الكفاية. ثم إحداث التوازن الديموغرافي بطابعه العِرقي بالمحافظة على مستويات عالية من الهجرة. وبناءً عليه فإن موازنة إسرائيل لهذه الحقائق لابد أن تأخذ عدّة اتجاهات: رعاية غربية دائمة, تشتيت الظهير الإقليمي, ضمان التفوق العسكري (Ohana, 2019).

أما ما يخص الحقيقة الثانية حول تنامي الأهمية الاستراتيجية لإسرائيل في السياسة الخارجية للولايات المتحدة. ففي ذات الوقت الذي خلقت العقائد اليهودية فيه مَيلًا طبيعيًا لدى اليهود للعزلة داخل المجتمعات التي يعيشون بها, خلقت عندهم عدم الانتماء لأية جغرافية أو أية حضارة غير اليهودية؛ وبالتالي خلقت لديهم استعدادا نفسيًا لديهم لقَبول الإيديولوجية الصهيونية بالحلّ القومي, تفعيلًا الجانب الحضاري لاسيَّما مع وجود رابطة عِرقية تربط التجمعات اليهودية بذات الأفكار التوراتية والشعائر التلمودية عِبر التاريخ وإن انفصلت جغرافيا (أرنولد ، 2006).

من ثمَّ فقد ربطت ذات العقائد هجرة اليهود بتحوّلات الجغرافية السياسية في أوروبا مطلع القرن التاسع عشر, بحيث مثّل إخراج اليهود من أوروبا حلًا أمثلًا للدول القومية الناشئة, وتوجيههم للاستيطان في فلسطين مشروعًا أكمل للحلفاء للإبقاء على دورهم ونفوذهم الاقتصادي والجيوسياسي في المنطقة عقِب الحرب العالمية الأولى.

وآلية ذلك بحسب الأمين العام للمنظمة الصهيونية العالمية "ناحوم سوكولوف" حين سؤاله من قبل المفاوض الفرنسي في (اتفاقية سايكس بيكو) جورج بيكو: كيف يمكن لليهود تنظيم انفسهم كأمة في فلسطين؟ – بالشكل الذي نظم المستعمر الأوروبي نفسه في أمريكا الشمالية وجنوب أفريقيا, أي بالاستيلاء على الأرضي وربط المهاجرين بها كمزارعين, والأهم بتأطير الهجرة بإيديولوجية ذات جذور كتابية وتاريخية (Elizabeth , 2014, p. 83).

من هنا جرت سياسية بريطانيا بشأن القومية اليهود في أوروبا باتجاهين, الأول: يُظهر مدى تهديد اليهود الوجودي لتطوّر أوروبا الناشئة على أسس قومية وحداثية. الثاني: تقدم فكرة الحلّ القومي خارج أوروبا حلًا أوحدا ولكن بما يخدم مصالح بريطانيا, وفي هذه الحالة تعد فلسطين خيارا استراتيجيا للأثنين معًا, وإحياءً مستدامًا للبعد التوراتي المؤثرة في الثقافة البروتستانتية (Burnidge, 2017).

ومؤدى ذلك أن أخذت المسألة اليهودية بعدا جيوسياسيًا في الفكر الاستراتيجي الغربي, وبعبارة أخرى: بقدر ما كانت الصهيونية مَدينة في وجودها ودوام زخمها إلى الأفكار التوراتية والاسترجاعية البروتستانتية في أوروبا والصهيونية الإنجيلية في الولايات المتحدة؛ بقدر ما هي مَدينة إلى الحركة الإمبريالية بنقلها من مجرد إيديولوجية متطرفة في أوروبا إلى منظمة عالمية ثم إلى أكبر مستوطنة عسكرية أمريكية في الشرق الأوسط.

حيث أسهمت وبشدَّة بتحويل [الخرافة] اليهودية – الإنجيلية من النبوءة إلى الجيوسياسية, وأفكار هداية وتنصير اليهود إلى برنامج استعماري استيطاني لتأمين الأسواق وطرق الامداد العالمية بين الشرق والغرب, وبالضرورة فكرة استرجاع اليهود كجماعة دينية إلى جماعة قومية جيوسياسية تدعم مصالح الغرب وتشكل دعامة للاقتصاد السياسي العالمي لأوروبا (المسيري، 1982).

وبالنسبة للولايات المتحدة فقد مثّل قرارها بدخول الحرب العالمية الأولى في نيسان 1917 تحوّلًا جذريًا في وضع اليهود, لاسيَّما وقد اقترن بحملة دعائية ضخمة ضد قرار السلطات العثمانية بطرد اليهود من مدينتي يافا وحيفا بعد معركة غزة. مما حفَّز الرأسمالية اليهودية الأمريكية لدعم وتمويل هجرات سيَّالة من يهود روسيا وشرق أوروبا إلى فلسطين.

وفي ذات الوقت الضغط باتجاه تحالف أنجلو – ساكسوني لدعم مشروع الصهيونية بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين, ودعم موقف الرئيس وودرو ويلسون في وضع اللمسات الأخيرة لوعد بلفور, وتأييده رسميًا في مؤتمر فرساي ليحظى بموافقة جميع حكومات الحلفاء عام 1919 (Bernard , 1995).

وحيث أن الصهيونية قد أدركت مبكرا مستقبل الولايات المتحدة كقوة عالمية صاعدة وذات موقف إيجابي بشأن اليهود, ركّزت جهودها باتجاه مزيد من الثِقل السياسي داخلها. اولًا: لتعويض تراجعها السياسي في بريطانيا بعد رفض مجلس اللوردات البريطاني الالتزام بحقوق اليهود وفقًا لوعد بلفور أوائل 1922. وثانيًا: لتحصيل قرار مشترك لمجلس الشيوخ والنواب الأمريكيين في 3/ 5/ 1922 بتأييد الولايات المتحدة رسميًا إقامة دولة قومية للشعب اليهودي في فلسطين (Elizabeth , 2014).

برغم تأييد الولايات المتحدة إقامة الدولة اليهودية إلّا إن تدخلها في فلسطين الانتدابية بقي محدودًا. إذ شهدت انقسامًا داخليًا لاهوتيًا واجتماعيًا بين ضغط الأصوليين القائلين: بضرورة إقامة أمة يهودية في فلسطين – على الاختلاف بينهم حول هجرة اليهود ولمَّا يتنصّروا أو أن يتنصَّروا أولاً مقدمَة للهجرة – وبين الحداثيين ممَن فضلوا عدم الاهتمام بالسرديات الدينية والاهتمام بموارد المنطقة وتطوير علاقات تجارية مع الدول العربية الناشئة (Marsden, 2006).

وبالتالي الاختلاف في تقييم مدى آثار المشروع الصهيوني على المصالح الأمريكية. إذ وجد عديد من المبشرين – ممَن أسهموا انفسهم بتصدير صورة للشرق الأوسط تدعم الإيديولوجية الصهيونية بين صفوف الشعب الأمريكي اواخر القرن التاسع عشر – في المشروع الصهيوني تهديدا لدورهم ومصالحهم في المنطقة, لاسيّما وقد طوروا معارف متخصصة باللغات والعادات والثروات الإقليمية وشغلوا مناصب رفيعة في الخارجية الأمريكية.

غير أن أهمية هؤلاء باعتبارهم نخب الدوائر البروتستانتية الليبرالية المؤثرة؛ لم تمنع تأثير الأصوليين في تشكيل الرأي العام الأمريكي طوال المدَّة ما بين الحربين العالميتين. وبحسب المؤرخ الأمريكي روبرت مايكل: "إن فكرة معاداة السامية للمدَّة ما بين الحربين كانت أكثر انتشارًا وعمقًا من أي وقت مضى في التاريخ الأمريكي".

إذ تمكنوا من خلق ثقافة سياسية وسياق ديني وترويج لـ"ديماغوجيا سياسية" داعمة لإسرائيل. بمعنى ترويج [استراتيجية للتأثير بالوصول إلى السلطة وكسب القوة السياسية عِبر مناشدة التحيُّزات الشعبية معتمدين إثارة مخاوف وتوقعات شعبية مسبقة] (Hummel, 2019).

بل وشهدت مدَّة الحرب العالمية الثانية قيام منظمات دينية يهودية وإنجيلية عالمية داعمة لإسرائيل, منها: مجلس الطوارئ الصهيوني الأمريكي (AZEC) لإغاثة يهود أوروبا, والذي تمكن من استمالة بقية المنظمات اليهودية المناهضة للإيديولوجية الصهيونية من قبيل: (اللجنة اليهودية الأمريكية, والمجلس الأمريكي)؛ واللجنة الأمريكية الفلسطينية عام (1941), والمجلس المسيحي لفلسطين عام (1942) واللذان اندمجا لاحقًا تحت مسمى اللجنة الأمريكية المسيحية الفلسطينية (ACPC) عام 1946, ثم عملا بالتعاون مع AZEC للدعوة الفورية لإقامة الدولة اليهودية المفترضة في فلسطين (Carenen, 2012).

تطور آخر جدير بالاعتبار أيضًا في تاريخ الصهيونية الأمريكية حظي بتأييد شعبي واسع, وهو أبدال دعم الصهيونية لاهوتيًا بدعمها على أسس حداثية وإنسانية باعتبارهم أقلية محاصرة. وبعبارة أوضح ربط دعم إسرائيل لا بالاستناد إلى النبوءات أو الكتاب المقدس وإنما بالاستناد إلى القيم الحداثية مثل: الديمقراطية, وحقوق الإنسان, والأقليات المضطهدة, حق تقرير المصير (ميرشايمر و والت، 2006).

وقد برزت هذه المفاهيم في السياسة الخارجية للولايات المتحدة تجاه إسرائيل عقِب الحرب العالمية الثانية بصورة واضحة, تزامنًا مع انشغالها بمواجهة الشيوعية العالمية وبالهيمنة على أوروبا المدمرة بعد الحرب, مضافًا إلى ترسيخ تواجدها في الدول الساحلية – مناطق الاصطدام أو المصير – في جيوبوليتيكا الاحتواء لاسيما تركيا واليونان والدول الساحلية والممالك العربية المنتجة للنفط.

ولأن الإيديولوجية قوام الحرب الباردة بين الرأسمالية والشيوعية؛ بدأ الساسة ومنظمات الدعم محاولات إدامة زخم مشكلة إسرائيل بتقديمها كرمز ديني في المنافسة بين الشيوعية الملحدة والعالم الحر المؤمن, وكجزء من النظرة الدينية في سياسة الحلفاء للتعاون وتعزيز معاداة الشيوعية, فضلًا عن موقعها الاستراتيجي في الشرق الأوسط خاصَّة بعد وصول الأسلحة السوفييتية إلى مصر وسوريا (Miller, 2014).

وبقدر ما كانت المصالح الجيوسياسية موجهة لسياسة الولايات المتحدة تجاه المنطقة, بقدر ما كانت الاعتبارات الدينية لليهود والمجتمعات الإسلامية بما تمتلكه من قوى دينية مضادة ومناهضة للشيوعية مهمة أيضًا. وبقدر الرغبة الأمريكية في الاستقرار الإقليمي لضمان تدفقات النفط, بقدر ما استمرت جمعية الكنائس المسيحية الأمريكية, والمؤتمر الوطني للمسيحيين واليهود (NCCJ), والمنظمات اليهودية الأمريكية للمساعدات الإنسانية, والمنظمات المسيحية الأساسية للضغط من أجل مزيد من الدعم الاقتصادي وتغطية نفقات استقبال آلاف المهاجرين؛ بدعم إسرائيل اقتصاديًا وعسكريًا وإيديولوجيًا (Carenen, 2012).

وبالتالي إعادة إنتاج إسرائيل وبشكل دوري في الثقافة الشعبية الأمريكية والأوروبية عموما, إسرائيل المجتمع الذي شكله الكتاب المقدس, والأقلية التي تتوافق مع القيم الحداثية الغربية, والمنخرطة في مهمة عالمية تستهدف الحرية والإنسانية, وبالنسبة للأصوليّة الإنجيلية الجماعة التي تحتل موقعًا متقدمًا في نبوءات آخر الزمان –كدولة منتصرة أو كدولة ستقدم الخسائر الفادحة– مما يوجب حمايتها ودعمها من قبل ملايين المسيحيين في العالم (Miller, 2014, p. 14).

على مستوى الداخل ثمَّة ما يوازي تلك المتغيرات ألا وهو إدامة زخم الصهيونية وتأثيرها السياسي من خلال تأثير اللوبي الصهيوني في الانتخابات الأمريكية, والبداية بشأن فوز ترومان في دورته الرئاسية الثانية عام 1948, حيث بدا اليهود ناخبين ديمقراطيين حاسمين في ولايات ومدن نيويورك وبنسلفانيا وإلينوي، ومُذ ذاك شكّلت توجهات ومواقف المرشحين من إسرائيل جزءا من اهتماماتهم وتحالفاتهم الانتخابية, ولاحقًا في سياسة الولايات المتحدة الخارجية تجاه إسرائيل (Gomberg, 2013).

من ثمَّ فقد شكَّلت حرب 1967 منعطفًا خطيرا في الفكر الجيوسياسي الغربي, إذ بَدت إسرائيل قوة إقليمية وعاملا رئيسا في توازنات القوى في الشرق الأوسط, بعد هزيمتها ثلاثة جيوش عربية: مصر, وسوريا, والأردن, واحتلالها مناطق واسعة شملت الضفة الغربية وقطاع غزة وشبه جزيرة سيناء ومرتفعات الجولان خلال ستة أيام فقط.

في حين حمل احتلال القدس الشرقية معان روحية وقدسية خاصّة للمسيحيين كما اليهود, ألهمت موجة واسعة من الشعور المتجدد في المجتمعات الغربية بإسرائيل عاصمتها القدس. وبدرجة من اللاهوتية العِرقية والإنسانية بَدت مثالًا حفز يهود أمريكا لتأكيد هُويتهم تجاه إسرائيل. وأدى في ذات الوقت إلى توحيد وإعادة تنظيم البروتستانتية الليبرالية (العلمانيين) والصهيونية المسيحية للاستمرار بدعم إسرائيل كضرورة دينية أخلاقية وإنسانية.

بحيث حفزت نتيجة الحرب واحتلال القدس الشرقية الإرث التقليدي المسيحي تجاه إسرائيل ونبوءة يسوع حول اورشليم أكثر بكثير من قيام إسرائيل نفسها عام 1948، إذ بَدت النظرة بعين النبوءة إلى أحداث المنطقة مقبولة جدا وألفت في ذلك المؤلفات (Carenen, 2012).

فمثلًا: نشر الداعية الأمريكي (هال ليندسي) كتابه (الكوكب العظيم المتأخر) عام 1970 متنبأ دور إسرائيل في آخر الزمان، والذي لاقى رواجًا بحيث بيعت منه أكثر من (35) مليون نسخة فقط في السبعينيات. وقيام عشرات الشخصيات اللاهوتية والأكاديمية بعشرات الحوارات والجولات الخطابية والمقابلات التلفزيونية في أوروبا وأمريكا الشمالية لترسيخ فكرة (أن تأييد إسرائيل جزء من التقليد النبوي للمسيحية), وفي ذات السياق تم الترتيب لأول اجتماع رسمي يهودي – إنجيلي عام 1975 للعمل المشترك لدعم إسرائيل, والنتيجة وفقًا لمنتدى (بيو للدين والحياة العامة) أن (44%) من الأمريكيين، بما في ذلك (82%) من الإنجيليين البيض، يعتقدون إن دولة إسرائيل قد أعطيت لليهود من قبل الله تعالى (Miller, 2014, p. 13). وهذه النِتاجات وإن بدأت مؤطرة بأطر دينية إلَّا إنها استهدفت أبعادا ثقافية وسياسية إذ باتت العلاقة بين اليهودية والمسيحية في الولايات المتحدة وأوروبا أكثر شعبية وفعالية سياسيًا.

أما حرب 1973 فقد بَدت جيوسياسية أكثر منها دينية. فعلى المستوى الإقليمي أظهرت الحرب مدى تهديد مصر العسكري لإسرائيل, ومدى تأثير الدول العربية المنتجة للنفط على الاقتصاد الأمريكي؛ وقرارها بعدم تصدير النفط للدول الداعمة لإسرائيل. برغم ذلك عمِلت الولايات المتحدة وبريطانيا على تحويل الوضع لصالح إسرائيل بتوظيف قرار مجلس الأمن رقم (242) – انسحاب إسرائيل الكامل من الأراضي التي احتلتها عام 1967 [والذي لم يتم]– استراتيجيًا لعزل مصر عن القضية الفلسطينية, وتحصيل اعتراف رسمي منها بإسرائيل دولة, وبتبعه تأمين الجبهة الجنوبية لإسرائيل بمعاهدة سلام دائم بضمانة مالية أمريكية.

وأما على المستوى الدولي فقد جعلت الولايات المتحدة إسرائيل جزءا من تفاهماتها الدبلوماسية والتجارية مع الاتحاد السوفييتي, بحيث تم تعديل قانون التجارة بينهما بما يشمل معاملة وحرية هجرة اليهود إلى فلسطين (Carenen, 2012).

تلت الحرب استراتيجية جديدة للولايات المتحدة تجاه إسرائيل والمنطقة لاتزال آثارها فاعلة إلى الآن؛ ألا وهي نموذج الرئيس الأمريكي جيمي كارتر (1977 – 1981) للسلام بين الديانات: الإسلام, المسيحية, اليهودية, للتعاون بين إسرائيل ومحيطها الإقليمي. وبعبارة أوضح: توظيف وحدة أصول الديانات الثلاث لتأمين سلام دائم لإسرائيل بدلًا من أن يكون تعدد الديانات بنفسه محفزا للصراع, مما جسدته اتفاقات كامب ديفيد للسلام 1978/9/17, بين مناحيم بيغن والسادات برعاية كارتر (States, 2024). مقتبسًا من المزمور "إني أسمع ما يتكلم به الله الرب، لأنه يتكلم بالسلام لشعبه ولأتقيائه، فلا يرجعن إلى الحماقة" (اشعياء، 61).

وبرغم نجاح مفاوضات كامب ديفيد في إرساء السلام بين مصر وإسرائيل, إلَّا إن استراتيجية السلام لم تلقَ رواجا, نتيجة معارضتها الرؤية الدينية لليهودية والإنجيلية المتشددة والثقافة الشعبية الأمريكية المستجيبة لها. إذ لم يكن التعاون بين الأديان أو السلام بنفسه أولوية, وإنما سيادة إسرائيل بحدود تاريخية غير محددة هو الأولوية, وليس دور كارتر كصانع للسلام هو المطلوب وإنما دوره كممثل للقوة الأمريكية الداعمة لأهداف الصهيونية هو المطلوب. لاسيَّما وقد عزز اللوبي اليهودي رؤيته في وجود هوّة بين الإسلام وكل من اليهودية والمسيحية, مستفيدا من بعض الأحداث الإقليمية من قبيل أزمة الرهائن الأمريكيين أثناء الثورة الإسلامية الإيرانية عام 1979, واغتيال السادات من قبل جماعة الإخوان المسلمين عام 1982 (Elizabeth , 2014).

طوال عَقد الثمانينيات وإلى الآن تعاظم دور المنظمات الصهيونية وجماعات الضغط في الولايات المتحدة, لتشمل ملايين الصهاينة من اليهود والمسيحيين؛ ممَن أسهموا في تشكيل لوبي منظم مؤيد لإسرائيل, وبدوره إيجاد سياسة أمريكية ضامنة لتفوقها بين دول المنطقة. على الجانب الآخر برزت أنظمة وتشكيلات دينية فاعلة لمقاومة الهيمنة الأمريكية – الإسرائيلية على العالم الإسلامي, لتجد العلاقات الأمريكية – الإسرائيلية نفسها متشابكة بصورة أكثر تعقيدا مع تيارات دينية متنامية على المستوى الوطني والإقليمي.

الأمر الذي يتلاءم وفرضية وجود صراع إقليمي جوهره صراع ديني, لاعِدل عنه ولابديل بين القوى الإسلامية المقاومة من جهة وبين الصهيونية العالمية من جهة أخرى. وهو مقتضى دور المنظمات اليهودية وجماعات الضغط ومراكز القرار في توجيه سياسة الولايات

المتحدة تجاه الأنظمة الإقليمية المناهضة لهيمنة الغرب وإسرائيل؛ بجهود حثيثة لصناعة رأي عام عالمي بأنه صراعًا يرقى إلى مستوى صراع أو "صدام الحضارات" (Rossinow, 2018).

عطفًا على دور اللوبي المؤيد لإسرائيل في السياسة الخارجية للولايات المتحدة, فقد بات أكثر تأثيرا في تشكل مواقف القادة والكونجرس؛ لاسيَّما وقد تحوّل من الناحية العملية من مجرد التأثير في المواقف وتحديد الخيارات إلى اختيار القادة وصناعة السياسات. وأهم المنظمات اليهودية في هذا المجال منظمة إيباك (AIPAC) لاختيار أعضاء الكونجرس وتأمين وصول المرشحين المؤيدين لإسرائيل. ومؤتمر الرئيس للمنظمات اليهودية للضغط على البيت الأبيض, ومنظمة المسيحيين المتحدين من أجل إسرائيل (CUFI) بعدد أعضاء يتجاوز الأربعة ملايين عضو عام 2006؛ للضغط على ممثلي الكونجرس والبيت الأبيض. فضلًا عن جماعات الضغط للتأثير داخل إسرائيل وطبيعة القوى والتوجهات الحاكمة من القوميين المتطرفين أو الليبراليين العلمانيين (ميرشايمر و والت، 2006).

ولاتزال إسرائيل تعتمد القوة السياسية لليمين المسيحي والصهيونية الإنجيلية وجماعات الضغط, فضلًا عن المحافظين والديمقراطيين باعتبارهم مؤيدين لإسرائيل متدينين كانوا أو غير متدينين. وأوضح مثالًا الحملة الدعائية والسياسية التي مارستها هذه القوى لدعم حكومة نتنياهو في حربه الحالية على قطاع غزة منذ 2023/10/7. وبنفوذ إعلامي واسع في صياغة السرديات الدينية والتاريخية والمعايير الأخلاقية والاقتصادية أحيانًا المبررة لممارسات إسرائيل.

وحاليًا تتجه سياسة الولايات المتحدة لإعادة إنتاج إسرائيل بدمجها بدول المنطقة سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا, وإعادة تشكيل الجغرافية السياسية للشرق الأوسط بإنتاج إسرائيل الإقليمية, عِبر سلسلة من الاتفاقات الاستراتيجية مع الدول العربية فيما يُعرف بـ(التطبيع): وهو إعادة رؤية كارتر للسلام المذكورة آنفًا بتأطير التفاهمات السياسية والاقتصادية بأطر دينية وثقافية مشتركة, تدفع باتجاه التعاون والحوار بدلًا من الصراع والتنافر الثقافي.

وحقيقة الأمر إظهار التعاون مع الأنظمة المؤيدة لإسرائيل في المنطقة, ومعاداة أو مواجهة الأنظمة والقوى المناهضة لها. من ثمَّ فإن حقيقة هذه الاتفاقات: انتقال بالبحث عن سلام عربي – إسرائيلي بدلًا عن سلام فلسطيني – إسرائيلي, وأبدالٌ للواقعية الجيوسياسية بدلًا من الرمزيّة الدينية والقومية الرابطة لدول المنطقة, ما يعني أن ثمَّة عُلقة ورابطة بين القضية الفلسطينية والرمزيَّة الثقافية وبتبعهما يبدو العالم العربي الإسلامي أكثر تشظيًا واستقطابًا, الأمر الذي عكسته بشكل واضح تباينات مواقف دول وحكومات وشعوب المنطقة تجاه عملية طوفان الأقصى.

وإذا اعتمدنا مبدأ كارتر أساسًا فقد بدأت هذه الاتفاقات باتفاقية كامب ديفيد للسلام عام 1978, ومعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل عام 1979, ثم اتفاقات أوسلو مع السلطة الفلسطينية منذ عام 1993, فمعاهدة السلام وادي عربة مع الأردن عام 1994, واخيرا اتفاقات ابراهام بين إسرائيل وكل من البحرين والامارات والسودان والمغرب عام 2020. والآن محاولة التطبيع مع السعودية برعاية أمريكية منذ أيلول 2023.

وباعتبار الرمزيَّة الدينية للسعودية في العالم الإسلامي, والاقتصادية باعتبارها أكبر مصدرة للنفط بنسبة (14.5%) من الإنتاج العالمي عام 2021, وعضويتها مؤخرا وكل من الأمارات ومصر في مجموعة (BRICS), ومشاركتها الأمارات نفوذا إقليميًا متناميًا (Jan , 2024). فجميع ذلك يعني حرفيًا جغرافية سياسية للنفوذ السياسي والاقتصادي والأمني والاختراق الثقافي, يؤكد نجاح الصهيونية وعلى مدى أقل من قرن من الزمان في الانتقال من محاولة إنتاج دولة إلى مرحلة إنتاج القوة الإقليمية, مع إمكانات عالية لترسيخ ذلك النفوذ؛ إذ اعتمدت الولايات المتحدة واقعًا جيوسياسيًا واقتصاديًا يعزز حاجة الدول العربية لإسرائيل. من قبيل: الشراكات الاقتصادية الضخمة في الطاقة المتجددة الذكية, مثل: الشراكة بين شركة سولار إيدج الإسرائيلية وشركة عجلان وإخوانه القابضة في الرياض لتطوير الطاقة المتجددة.

والممر الاقتصادي المعلن عنه في قمة مجموعة العشرين في أيلول 2023, والذي يضم قوى إقليمية وعالمية ذات اقتصادات ضخمة, هي كل من الهند والإمارات والسعودية وإسرائيل وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والولايات المتحدة, فيما يُعرف بممر الهند – الشرق الأوسط – أوروبا للألياف الضوئية وخطوط أنابيب الهيدروجين الخضراء والربط بين مختلف المناطق الاقتصادية الخالصة. مع إمكانات عالية لتزويد السعودية بالغاز من إسرائيل وحوض شرق المتوسط.

وبحسب توماس فريدمان: إن خطة السعودية تستهدف اتفاقية دفاع مشترك مع الولايات المتحدة, وأن تحظى بصلاحية الوصول إلى الاسلحة المتطورة على قدم المساواة مع اسرائيل, وأيضًا الحصول على دعم الولايات المتحدة لإنشاء صناعة نووية على الأراضي السعودية, وأن يتم تخصيب اليورانيوم بمعامل مياه ثقيلة وبما يؤدي إلى خفض العتبة النووية السعودية, مضافا الى السماح لشركة (NVIDIA) لأشباه الموصلات بالاستثمار في السعودية أو على الأقل نشر مقار وسيرفرات البيانات الضخمة ومراكز الذكاء الصناعي على أراضيها (Friedman, 2024).

ويعني حرفيًا نجاح الولايات المتحدة في إعادة صياغة خريطة توازنات القوى الإقليمي لصالح إسرائيل, حيث يلازم التطبيع السياسي والاقتصادي عملية إعادة تنظيم أمنية أوسع نطاقاً للنظام الإقليمي في الشرق الأوسط, لإثارة التنافس والصراع بين دول المنطقة (Sanam & Neil). وليس ذلك إلَّا بأبدال العداء الإسرائيلي العربي بتحالف إسرائيلي – عربي ضد القوى المناهضة لهيمنة الولايات المتحدة وإسرائيل على مستوى الإقليم, وفي هذه الحالة تمثّل إيران – المنافس الإقليمي الأكثر قدرة للسعودية وإسرائيل – الطرف الأقرب في الصراع وبدرجة أبعد القوى العالمية المتنافسة على المنطقة الصين وروسيا وتركيا.

وبعبارة أخرى: اتخاذ التقارب الاقتصادي والتعاون الأمني مداخل للتقارب الفكري والثقافي بين الإسلام واليهودية, وخلق إيديولوجية مسيَّسة قائمة على استغلال الانقسام العقائدي التاريخي الطبيعي بين فرق المسلمين, وتصّوير ما هو طبيعي أعني اختلاف المسلمين في فَهم النص وتعدد قراءاتهم للتاريخ إلى ما هو غير طبيعي وحالة من التنافس والعداء والصراع بما يخدم الغرب وإسرائيل.

ويدعم استراتيجية الولايات المتحدة ضعف الدول العربية وحاجتها المستمرة للقوى الأجنبية, بعد تاريخًا من الاحتلالات نجحت خلاله تلك القوى في تفكيكها واستنزافها, بحيث تواجه الآن حالة من التبعية الاقتصادية والعسكرية والثقافية والمعلوماتية؛ تسهم ولاشك في محدودية خياراتها السياسية والاستراتيجية.

المحور الرابع: الثقافة السياسية والسياسة الخارجية للولايات المتحدة وإسرائيل

نجادل هنا بدور الثقافة السياسية للولايات المتحدة وإسرائيل في توجيه سياستهما الشرق اوسطية بمنطق القوة. وتقديم القوة الغاشمة أسلوبًا أوحدا للتعامل مع القضية الفلسطينية وقضايا المنطقة.

ذلك أن الثقافة السياسية لكل من أمريكا وإسرائيل والغرب عامَّة ذات مشارب فكرية وأصول معرفية واحدة؛ ولأن الثقافة السياسية لنظام أو حضارة ما, ماهي إلّا مجموع القيم والمعتقدات والأيديولوجيات التي تشكل معايير النظام وممارساته تجاه الأنظمة والقوى الأخرى, والذي يعمل بدوره على إعادة تشكيلها لبناء أطر وصناعة معانٍ خاصة تؤثر في آراء العامّة لتوجيه أو تبرير تلك الممارسات.

وسواء على مَذهب الكلاسيكيين من أن الثقافة السياسية نِتاج أفكار وتقاليد المجتمع وممارساته الدينية. أو الحداثيين من إنها نِتاج التفاعل المتبادل بين التاريخ والسياسة الحالية وبين النُخب والجماهير. أو منظرو الاختيار العقلاني من أن الأسبقية لا للميول الثقافية وإنما لحسابات الفائدة وعقلانية المصالح الاقتصادية والاجتماعية والدينية؛ فالثقافة السياسية تبتني على أفكار وتصوَّرات ومعتقدات آنية أو مسبقة. [وهي واحدة لدى الغرب وإسرائيل] (Cox & Schechter, 2003).

في علاقة تأثير نُخب المجتمع وتأثُر المجتمع نفسه بالأطر والمعاني المتولدة عن تلك النُخب, فهي تمثّل أفكار المجتمع وهُويّته الوطنية وخبراته وتجاربه السياسية, إذ لا يمكن ببساطة فرض نظام قيم أو تشكيل غريب عن عقول الجماهير ودون مراعاة قيمهم والتصرف ضمن إطار أفكارهم المقبولة (Cox & Schechter, 2003).

ووفقًا لفوكوياما: إنه ومن الناحية العملية لابد للنُخب حتَّى الاستبدادية منها من مؤسسات خاصّة وطبقة من المثقفين, تُشرع إرادتها وتمكنها من تنفيذ أجنداتها وسياساتها, وإضفاء الشرعية على سياستها الخارجية ثم تقديمها للسكان أو على الأقل للفاعليين والحلفاء السياسيين, وإيجاد الصدى الجماهيري لها بالاستفادة من موضوعات موجودة مسبقة. فالرأي العام وإن كان لا يحدد السياسة إلّا إنه يحدد معايير الخيارات السياسية, معنى ذلك أن سياسة وسلوك دولة ما لا تعكس ثقافة نظامها فقط وإنما ثقافة مواطنيها وتوجهاتهم السياسية (Cox & Schechter, 2003).

وبهذه الحيثية فإن السياسة الخارجية للولايات المتحدة وإسرائيل تجاه فلسطين والمنطقة؛ لا تعكس مفاهيم وتوجهات النُخب السياسية والدينية والاقتصادية فقط, وإنما ثقافة وتوجهات شعبيهما أيضًا – إلَّا الجزء اليسير الرافض لتلك المفاهيم أو الذي يوجهها بتوجيه آخر – حيث تاريخ من الانفعالات والاستجابات لإيديولوجيات وسرديات دينية وتاريخية وحداثيَّة مُسيسة, ومغالطات مضللة بشأن اليهود وشأن غيرهم سواء.

وأصل هذا الاستنتاج أن الثقافة السياسية للغرب حتَّى مع فرض عولمتها تتمحور حول حقيقتين:

الحقيقة الأولى: إنها ثقافة المنتصرين في الحربين العالميتين من الحلفاء وفي مقدمتهم الولايات المتحدة.

الحقيقة الثانية: إنها نِتاج جذور دينية وأصول معرفية واحدة.

وبالنسبة للحقيقة الأولى: فقد فرض الحلفاء المنتصرون أنفسهم ليس معيار للحداثة فقط وإنما معيارا للحضارة والقيم الأخلاقية العالمية, مما شكَّل موضوعات دائمة للسياسة الخارجية للولايات المتحدة, من قبيل الديمقراطية, وحقوق الإنسان, والأقليات المضطهدة, وتقرير المصير, باعتبارها أبرز مبادئ الرئيس الأمريكي ودرو ويلسون الأربعة عشر, والتي أخذت أسسًا للتفاوض في معاهدة فرساي لإنهاء الحرب العالمية الأولى عام 1918, ولتشكَّل لاحقًا رؤية الولايات المتحدة حول مصير اليهود, ولاتزال تشكل الرؤية الاجتماعية والشعبية والقَبول النفسي لقيام إسرائيل (Edward , 1982).

ولأن المنتصرين في الحرب العالمية الأولى هم ذاتهم المنتصرون في الثانية؛ وأن رؤيتهم واحدة وهي الرؤية الأمريكية بعد تبني عصبة الأمم مبادئ ولسون في 1918/1/8 والأمم المتحدة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في 1948/12/10. فنحن أمام حقيقة أن السياسة الدولية ما هي إلَّا تعبير عن رؤية المنتصرين لِما يجب أن يكون عليه العالم, وأن المجتمع العالمي هو مجتمع المنتصرين وليس العالم. من ثمَّ عولمتها كمبادئ عامَّة لرؤية الغرب التقدمية ومعايير عصر التنوير الغربي مما ينبغي لجميع الأمم والشعوب اعتمادها والسير عليها. (Cox & Schechter, 2003).

وبناءً عليه وبشكل عملي فأن الهيئات والمنظمات العالمية؛ ما هي إلَّا أدوات لعولمة تلك الرؤية, وفرضها في نظام عالمي يعبر عن أهداف ومصالح تلك القوى وعن الصهيونية العالمية, ومع ضرورة معارضة تلك القيم والمصالح لقيم ومصالح بقية الأمم والشعوب, فلابد أن تكون مكفولة بالقوة العسكرية والسيادة التكنولوجية والاقتصادية للولايات المتحدة وحلفاؤها من القوى العالمية بدرجة أقل.

وبحكم نفس العملية وذات السبب فإن قوانين ونظريات الأخلاق الدولية, قد تمت صياغتها إبقاءً لهيمنة الغرب وتعبيرا عن أهدافه ومصالحه خاصّة, من ثمَّ عولمتها لتأسيس معايير جديدة أو استبدال معايير راسخة لبقية الأمم والمجتمعات؛ إذ لا يمكن بحال أن يوجد قانون وقيمة حضارية تخدم مصالح وأهداف قوة أو قوى مهيمنة ويمكن اعتبارها مطلقة وعالمية.

وهي حقيقة تاريخية لمائة ونيّف عام الماضية وفقًا لمفكر السياسة البريطاني (إي إتش كار) من أن: نظريات الأخلاق الاجتماعية هي دائمًا نِتاج مجموعة مهيمنة, تمتلك مقومات فرض رؤيتها للحياة على بقية المجتمعات التي تفتقر إلى تلك المقومات (Carr, 1945, pp. 79 – 80).

وهذه الحقيقة بقدر ما تفسر طبيعة التحوّلات الجيوسياسية للقرن المنصرم تفسرها الآن, حيث تحاول بعض القوى انطلاقًا من إمكاناتها لوضع معايير جديدة بالضد أو جنبًا إلى جنب مع تلك المعايير, في حين تُعطي أخرى بزعامة الولايات المتحدة الأسبقية لذات النظام, وتستمر تفرضه أو تكييفه بحسب ما يطرأ من تحوّلات عالمية, إما باستحداث دوافع وخلق تهديدات لشن الحروب أو بفرض مزيد من القيود لكل ما من شأنه تعزيز مواقف قوى المقاومة والتغيير.

وتُفسر أيضًا ازدواجية المعايير والتمييز العِرقي في السياسة العالمية للولايات المتحدة وإسرائيل والغرب عامَّة, تجاه قضايا الشرق الاوسط والقضايا العالمية. وفيما يخص القضية الفلسطينية فقد بَدت السياسة الأمريكية والغربية حانقة تجاه حروب وممارسات إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني, ومنها حربها الحالية على قطاع غزة, وما تقوم به من جرائم مدعومة بالقوة العسكرية والسياسية للولايات المتحدة وحلفاؤها: سواء جرائم قتل المدنيين, واستهداف الأطفال, والإبادة والمقابر الجماعية, وتدمير البنى التحتية, وجميع مقومات الحياة بهدف التطهير العِرقي.

وبرغم إقرار الخارجية الأمريكية هذه الممارسات – وأن عملية طوفان الأقصى في 2023/10/7 في نفسها حقًا مشروعًا يكفله القانون الدولي باعتبارها مقاومة ضد احتلال – لاتزال الولايات المتحدة والمجتمعات الرأسمالية المتحالفة معها مستمرة بدعم إسرائيل بمختلف الأسلحة الحديثة, وبالفيتو الأمريكي لمنع تحصيل اجماع دولي بشأن تجريمها أو إدانتها أو مجرد الضغط لإيقاف الحرب (O'Connor, 2024).

وأبعد من ذلك تهديد أعضاء مجلس الشيوخ والنواب بفرض عقوبات على موظفي المحكمة الجنائية الدولية إذما أدانوا مسؤولين إسرائيليين. وبالمثل تهديد اسرائيل باغتيال السلطة الفلسطينية اذا لم يُعد بايدن تفعيل قرار ترامب القاضي بأن: "أي قاضي في المحكمة الجنائية الدولية يصدر قرار لأي جندي أمريكي أو دولة حليفة سوف تفرض عليه عقوبات", وأيضًا تصريح وزير الخارجية أنتوني

بلينكن: إن المحكمة لا تتمتع بالسلطة القضائية وإنه "من الخطأ للغاية" أن يساوي المدعي العام للمحكمة مسؤولين إسرائيليين مع قادة حماس (MIKE , 2024).

أما بالنسبة للحقيقة الثانية: فنجادل بوحدة أصول ومنطلقات الثقافة السياسية للغرب, والتي أفرزت ذات السياسات والممارسات تجاه فلسطين والشرق الأوسط, ونجادل أيضا بأن الأصول والمنطلقات الفكرية تتمحور حول أصلين رئيسين: أصل ديني, وأصل معرفي غير رفيع, وكلاهما يعتمدان مبدأ القوة ومبدأ التميز العِرقي.

وإذ تقدم دور العامل الديني وكيف أسهم بتأصيل الأيدولوجية الصهيونية وتأطيرها بأطر جيوسياسية تُحاكي الإمبريالية العالمية؛ فمن المناسب جدا هنا بيان بعض النصوص مما أسهمت في توجيه سياسة الغرب وأسلوب تعاطيه تجاه تلك الحقائق الجيوسياسية. وأمثلة ذلك كثيرة منها: "وَيَقُومُ الْغُرَبَاءُ عَلَى رِعَايَةِ قُطْعَانِكُمْ، وَأَبْنَاءُ الأَجَانِبِ يَكُونُونَ لَكُمْ حُرَّاثاً وَكَرَّامِينَ(6). أَمَّا أَنْتُمْ فَتُدْعَوْنَ كَهَنَةَ الرَّبِّ، وَيُسَمِّيكُمُ النَّاسُ خُدَّامَ إِلَهِنَا، فَتَأْكُلُونَ ثَرْوَةَ الأُمَمِ وَتَتَعَظَّمُونَ بِغِنَاهُمْ(7) (اشعياء، 61). وبالمثل في قصة سؤال إسرائيل ربَه, لماذا خلقت خلقا سوى شعبك المختار؟ قال: "لتركبوا ظهورهم وتمتصوا دماءهم وتحرقوا اخضرهم وتلوثوا طاهرهم وتهدموا عامرهم" (سفر المكابين الثاني ، 3418).

وفيما يخص الدافعية وتبرير ارتكاب المجازر والإبادة الجماعية ما جاء في تعاليم الرب لجنوده في التوراة "وَحَرَّمُوا [اقتلوا] كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُل، وَامْرَأَةٍ، مِنْ طِفْل، وَشَيْخٍ، حَتَّى الْبَقَرَ، وَالْغَنَمَ، وَالْحَمِيرَ، بِحَدِّ السَّيْفِ 000 وَأَحْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ مَعَ كُلِّ مَا بِهَا" (يوشع، 25).

وأشد في دلالات التميّز العِرقي التلمود, وفي الدعوة لممارسة العنف واضطهاد الآخرين بروتوكولات حكماء صهيون. ومنها البروتوكول الحادي عشر: إن الأمميين كقطيع من الغنم واننا الذئاب فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب إلى الحضيرة, إنها لتعرض عيونها عن كل شيء وإلى هذا المصير سيدفعون (ماثيو ، ٢٠٢٤).

وبالرجوع إلى حقيقة قيام الإيديولوجية الصهيونية على الأفكار والسرديات الدينية والتاريخية, وحقيقة عميق تأثير اللوبي الصهيوني في توجيه السياسة الخارجية للولايات المتحدة, ودور هذه الأفكار والسرديات في تأطيرها اجتماعيا ودوليًا. يمكن أن ننتهي إلى الدوافع الكامنة وراء شعور الغرب بالتميّز العِرقي وبحقه في نهب وإرهاب الآخرين. وهو ما تبلور واضحًا أوائل القرن الحادي والعشرين في تقسيمهم العالم إلى محورين: – وفقًا للبروتوكول الرابع– محور الخير ويضم الولايات المتحدة وحلفاؤها, ومحور الشر ويضم كل مَن ليس فيهم (المصري، 2013، صفحة 412).

وما تبلورا أيضًا في تصنيف كل من العراق وسوريا وإيران بمحور الشر, ثم تأطير حروب الولايات المتحدة وتدميرها العراق وسوريا وأفغانستان بـ"الحروب الأخلاقية"؛ على طريقة الحاخام اليهودي الأمريكي (مانيس فريدمان) في جوابه سؤال: ما يجب على اليهود تجاه محيطهم العربي؟ قال: إن الطريقة اليهودية هي الوحيدة لخوض حرب أخلاقية: "دمّر أماكنهم المقدسة، واقتل رجالهم ونساءهم وأطفالهم ومواشيهم". وأن تلك هي قيم التوراة التي ستجعل الإسرائيليين "النور الذي يشع للأمم التي تعاني الهزيمة بسبب الأخلاقيات المُدمّرة التي اخترعها الإنسان"، و"الرادع الوحيد والحقيقي للتخلص من ثبات الفلسطينيين ومقاومتهم المستمرة" (Manis , 2009).

ومن المناسب جدا أيضًا مناقشة مصطلح "معاداة السامية" كمصطلح رئيس في توجيه السياسة العالمية وتعبئة الشعوب الغربية لصالح إسرائيل. بعد أن نقلته الحركة الصهيونية من مجرد وصف الشعوب ذات العلاقة بالعبرانيين ولغاتهم إلى كراهية اليهود حصرا, في عملية دعائية ممنهجة لاستغلال كل ما من شأنه أن يساعد على اختلاق إسرائيل, ولاحقًا معاداة وابتزاز كل مَن يتجرأ على انتقاد سياساتها (المصري، 2013).

علمًا أن حقيقة ما قامت به الصهيونية هو عملية صنع معاداة اليهود ثم تحريم نَقد إسرائيل, بعد أن حرفت دلالة المصطلح من كراهية اليهود للآخرين بوصفهم غرباء [طبقًا لتعاليم التوراة والتلمود] إلى الدِلالة على كراهية الآخرين لهم. ويدعم هذا الاستنتاج المفكر اليهودي إسرائيل شاحاك من أن: " معاداة السامية كانت وإلى حد كبير تعبيرا عموميا لكراهية الغرباء, ولكن اليهودي كان في بلدان أوروبية عديدة في حوالي العام 1900 الغريب الوحيد عمليًا" (إسرائيل ، 1997، صفحة 121). وكذا الفيلسوف الفرنسي بول – هنري جولباخ: "بسبب دينهم كان اليهود دائما أعداء لكل البشرية, وليس مدهشا أن تقف البشرية جميعها ضدهم" (د. كارنييف، 2006، صفحة 74).

وأيضًا سولومون ميلاميد في كتابه (معاداة السامية): "إن سبب معاداة السامية يكمن في اليهود انفسهم, وبكلمات أخرى نرى السامية كظاهرة غير عضوية, إنها تملك جذورا راسخة في الاختلاط بين المحيط الروحي لليهود وبين غيرهم". وإشارة ذلك أن منشأ استحقاق اليهود سخط الآخرين هي نتيجة معتقداتهم الدينية وتصوَّراتهم اللاهوتية, كما هي كذلك منشأ دوافعهم وممارساتهم الاجتماعية وسياساتهم الخارجية (المصري، 2013، صفحة 275).

وكما تم ربط الأيدولوجية الصهيونية بأرض فلسطين وبحركة الاستعمار في المنطقة, تم توظيف هذا المصطلح لتبرير دعم إسرائيل وسياساتها العِدائية وتغطية جميع الأحداث لصالحها في كامل محيطها الإقليمي والمنطقة, وعلى مستوى عالمي في قمع السياسيين والمفكرين والإعلاميين ممَن ينتقد إسرائيل. وبحسب الإعلامي هارولد د. بايتي "إن صيحة اللاسامية هي العصا, التي يستعملها الصهاينة لحمل غير اليهود على قبول وجهة النظر الصهيونية بشأن الأحداث العالمية أو التزام الصمت" (بول ، 1990، صفحة 486).

وخطير جدا تطوير هذه المصطلح من قِبل اللجنة الدولية لإحياء ذكرى المحرقة في ستوكهولم منذ عام 2005, واعتمدها تعريفًا عمليًا غير ملزم قانونيًا لمعاداة السامية عام 2016 "باعتبارها تصور معين لليهود, يمكن التعبير عنه بالكراهية تجاه اليهود. وإن المظاهر الخطابية والمادية لمعاداة السامية موجهة نحو اليهود جماعة أو أفراد و/أو ممتلكاتهم آو تجاه مؤسسات المجتمع اليهودي والمرافق الدينية". ليتم تبنيه لاحقًا من عدَّة دول للمدَّة بين 2015 – 2019.

وخطورة هذا التعريف في ربطه معاداة السامية بإسرائيل كـ"دولة"؛ تعبر عن جماعة دينية محمية. وبما يشمل إلقاء اللوم على اليهود أو مجرد الحديث عن أسطورة مؤامرة يهودية عالمية أو اتهامهم بالسيطرة على وسائل الإعلام أو الاقتصاد أو حكومة أو مجتمع ما, أو بالمسئولية عن أفعال خاطئة حقيقية أو متخيلة ارتكبها شخص أو مجموعة. أو اتهام اليهود كشعب أو إسرائيل كدولة باختلاق أو تضخيم المحرقة أو مجرد الادعاء أن وجود دولة إسرائيل هو مسعى عنصري أو مقارنتها بالنازية أو ازدواجية المعايير أو استخدام الرموز والصور المرتبطة بقتل اليهود ليسوع أو فرية الدم 000. بنحو الفعل أو الكلام أو الكتابة أو الأشكال والصور في الحياة العامَّة وأماكن العمل والإعلام والمدارس (IHRA, 2016).

ويجسد موقف الحكومة الأمريكية تجاه الناشطين المدنيين والحِراك الطلابي في الجامعات الأمريكية للمطالبة بإنهاء الحرب الحالية على قطاع غزة هذا المعنى من معاداة السامية. إذ اتهم بايدن علنًا الطلبة بمعاداة السامية, ووصف التظاهرات بالحقيرة وأنها مخالفة للقانون, وفعلًا فقد تم قمعها والتعامل معها بعنصرية ووحشية والتهديد بفتح النار داخل الحرم الجامعي واعتقال أكثر من (2000) طالب. فضلًا عن حشد مضاد من (330) مؤيد لإسرائيل. وفي إزدواجية واضحة للمعايير والتمييز العنصري, وصفت (Mpc) المعتصمون بأنهم مجموعة من: الفلسطينيين ومن اصحاب البشرة البنية ومن اليهود من خلفيات مهمشة وأنهم يهود كارهون لذواتهم.

أما الأصل الثاني: وهو المعرفي فيهدف إلى تبيان أصل منطق القوة في الثقافة السياسية الغربية, وبعبارة أدق استخدام القوة كجزء من السياسة الخارجية تجاه الشعب الفلسطيني بل ودول المنطقة والعالم. وهذا الأصل إلى حد قريب يساوق أو يقارب أنطولوجيا إرادة القوة أو فرضية القوة للفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه (1844 – 1900).

إذ تقدم أن القوانين والأخلاقيات العالمية التي تدعمها الولايات المتحدة واللوبي الصهيوني؛ إن هي إلَّا تعبير عن حضارة واحدة مهيمنة وتمثيل لأهداف ومصالح خاصة, وأن القوة العسكرية للولايات المتحدة ومراكز التأثير الدولية, تعمل على تقديمها في سياق عالمي وكأنها عالمية وعادلة خلافًا لحقيقتها وواقعها, بالرغم من حقيقة أن كونها تعبيرا عن حضارة وأهداف خاصّة يناقض بنفسه عالميتها, إذ لا يمكن بحال الإقرار بوجود قانون وقيم أخلاقية تتمتع بصلاحية أن تكون مطلقة وعالمية, لأنها تناقض ولاشك قيم ومصالح بقية الأمم والشعوب.

وتقدم أيضًا أن القوة العسكرية والاقتصادية والسيادة التكنولوجية والمعلوماتية للولايات المتحدة والغرب هي الضامنة لعالمية تلك القيم ومَن تفرض أحقيتها؛ ومَن تحدد ما تفترضه نظامًا دوليًا وأخلاقيًا وحيدا ومَن تحدد الخطأ والصواب في السياسات الدولية, وطبيعة التدفقات الثقافية والتفضيلات الحضارية.

ومؤداه إن القوة الغاشمة للولايات المتحدة مضافة إلى النزعة الذاتية هي مَن تشكل سياستها تجاه المنطقة والعالم. ولأن القوَّة بالضد من العدالة, فهي تقدم نفسها عادلة "ولأننا غير قادرين على جعل [تقديم] ما هو قوي فقط، فقد جعلنا ما هو قوي عادلاً" (Cox & Schechter, 2003, p. 58).

وتقريب المسألة: أن ثمَّة أصل معرفي يؤصل إلى حد ما لهكذا ثقافة سياسية, ويفسر إلى حد كبير سياسة الغرب وإسرائيل؛ وهذا الأصل هو فلسفة إرادة القوة للفيلسوف نيتشه, وفرضيته حول دور إرادة وفاعلية الإنسان في خلق الحقائق وأحقية ما يمكنه أن يصل إليه, وحول ثنائية التعبير عن الحياة: "تعبير السادة وتعبير العبيد". وأن النوع الرفيع من الناس هو مَن يخلق القيم ويحدد الأخلاق ويصدر الأحكام, وأن ثمَّة تسلسل هرمي للمجتمعات حيث القوى النشطة في رأس الهرم تتمتع بالهيمنة على غيرها. ومثل هذه لا تلتزم بواجبٍ إلَّا لنظرائها، وإزاء مَن هم في مرتبة أقل تسلك كما تشاء, أي بمعزل عن أية قوانين أخلاقية لأنها هي مَن تخلقهما وتحددهما (Sabo, 1977).

ويكشف الخطاب السياسي لقادة ونُخب الغرب عن محاولات تأصيل هذه المفاهيم والتعامل معها كحقائق لا لبس فيها. مدعومة من منظمات سياسية واقتصادية وروحية وملايين الداعمين الماليين, ومستفيدة من امتدادات إعلامية عالمية, لتزييف الحقائق حول موضوعات دينية وإنسانية وحداثيّة مختلفة, فضلًا عن تزييف الحقائق المتغيرة بشأن إسرائيل, فيما يتعلق بهجرات اليهود الأرثوذكس وشن الحروب والتوسع وضم مزيد من الأراضي في الضفة والقطاع (Colin, 2000).

وجدير بالاعتبار: أن صمود المقاومة وتضحيات الشعب الفلسطيني قد تمكنا خلال الحرب الحالية, مستفيدا من وسائل التواصل وتقنيات الاتصال من النفاذ إلى عقول القواعد الشعبية الغربية واختراق حلقات المنظومة الفكرية للصهيونية. وعلى حد تعبير (توماس فريدمان) "مشكلة هذه الحرب [حرب غزة] انها مصورة على التيك توك". حيث تقنيات الاتصال اكثر تأثيرا وفاعلية في نقل الحقائق وكشف زيف الإعلام. بحيث بَدت آثاره واضحة في تفسير الحِراك الشعبي في العديد من دول العالم والحِراك الطلابي في الولايات المتحدة.

وبحيث وصفه السيناتور الأمريكي (بيري ساندرز) في رده اتهام نتنياهو الحِراك الطلابي في الجامعات الأمريكية بأنه معادٍ للسامية؛ بأن الذي حدث هو وجود صحوة فكرية لدى شباب الولايات المتحدة, وأن ما تقوم به إسرائيل من جرائم قتل للأطفال وتجويع وإبادة ليس معادٍ للسامية وانما تضليل وقح وفج وإهانة لذكاء الشعب الأمريكي (Bernie, 2014).

وفي حين تستمر إسرائيل باستهداف المدنيين وقتل الحياة في القطاع بهدف التطهير العِرقي, وفي تقييم موقف الغرب تجاهها بأن دافعه الحقيقي عدم انتصارها بعد وليس جرائمها كما تدعي!, أدت الحرب على المستوى السياسي إلى اعتراف ثلاثة دول أوروبية بالدولة الفلسطينية, هي كل من: النرويج, واسبانيا, وإيرلندا, فضلًا عن انضمام بعض الدول لدولة جنوب أفريقيا في الدعوة المقدمة لمحكمة العدل الدولية بشأن تجريم قيادات إسرائيلية. غير أن بقياء الهيمنة العالمية للولايات المتحدة وحلفاؤها واستمرار دعمها لإسرائيل يحول دون انهيارها عسكريًا وهزيمتها سياسيًا.

وعمومًا تكشف الجغرافية السياسية لقيام إسرائيل أن التطهير العِرقي للاستيلاء وضم الأراضي؛ هو الدافع الرئيس لاستمرار الحرب منذ عام 1947. وتدعم هذه الحقيقة الجيوسياسية النَقدية لتاريخ من الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي. وتكشف بما لا يقبل الشك أن العقلية والثقافة السياسية لأمريكا وإسرائيل ودول الغرب تتمحور حول التسلط واستنزاف الآخرين والتطهير العِرقي للمناهضين منهم. من ثمَّ فقد عزز صمود المقاومة والشعب الفلسطيني هذه الحقيقة كنتيجة منطقية لكل ما أقدمت عليه إسرائيل منذ 2023/10/7, وأن اعتمادها الإبادة والتطهير العِرقي بالقتل أو التجويع وأحالت القطاع مكانًا خالٍ من الحياة؛ هدفه الحقيقي تهجير سكانه وخلق الحافز لديهم لترك أراضيهم ثم الاستيلاء عليها.

الاستنتاجات

1. تستند المنطلقات الفكرية للعلاقات الأمريكية – الإسرائيلية إلى ثلاثة عوامل مهمة: الجذور الدينية, الأصول التاريخية, الثقافة السياسية. وبينما تحمل الجذور الدينية أبعادا ودوافعًا جيوسياسية تجاه فلسطين والمنطقة؛ أكد السياق التاريخي لتطوّر الأحداث الإقليمية والعالمية مدى أهمية قيام إسرائيل في استراتيجيات الولايات المتحدة؛ أما الثقافة السياسية فقد عمِلت على وحدة السياسة الخارجية لهما ووحدة الأسلوب وكيفية التعاطي تجاه الشعب الفلسطيني وقضايا المنطقة بشكل عام.

2. تلعب المفاهيم والتصوّرات اللاهوتية دورا رئيسا في العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل, وبحيثية أسهمت خلالها بتوجيه السياسة الخارجية الأمريكية تجاه إسرائيل, وبصناعة رأي عام وطني ودولي مؤيد لإسرائيل منذ صعود الصهيونية أواخر القرن التاسع عشر وحتَّى قيام إسرائيل عام 1948 وإلى الآن.

3. أدت التطورات التاريخية للمسألة اليهودية داخل الولايات المتحدة إلى ربطها بالجيوسياسية الأمريكية في الشرق الأوسط, وإلى دعمها من مجرد جماعة دينية متطرفة إلى جماعة قومية جيوسياسية, وقاعدة عسكرية أمريكية للضغط في خريطة توازنات القوى الإقليمية في المنطقة.

4. تعد إسرائيل مثالًا لمدى تأثير الدين في السياسة والأيدولوجية في العلاقات الدولية. وإلى أي مدى تم توظيف المفاهيم الدينية للتأثير في تصوّرات وقناعات قادة وشعوب الغرب تجاه المسألة اليهودية، وتجاه إنتاج إسرائيل باعتبارها دولة ذات أهمية دينية توراتية وإنجيلية خاصة,

5. يمكن معاينة دور الدين في السياسة الأمريكية تجاه إسرائيل في ثلاثة اتجاهات: تأثيره في معتقدات صناع القرار وفي تقيمهم لمدى أهميته للمجتمع الأمريكي, دوره في الاعتبارات السياسية الداخلة في حسابات صناع القرار السياسي, دوره في تقريب أفكار العهد ونبوءات الكتاب المقدس لواقع جيوسياسي وجيوثقافي تجاه فلسطين والمنطقة.

6. تعزز الحرب الأمريكية البريطانية الإسرائيلية الحالية على قطاع غزة صدق فرضيات البحث بشأن جذور وأسس العلاقة, بينما كشفت تضحيات الشعب الفلسطيني وصمود المقاومة مستفيدة من تقنيات الاتصال وتطور وسائل التواصل الاجتماعي مدى ازدواجية المعايير الغربية وزيف المقولات الأمريكية, وإن هي ألا أدوات دولية للتدخل في شؤون الآخرين والضغط عليهم وابتزازهم.

المصادر

أرنولد توينبي. (2006). *مختصر دراسة للتاريخ ج1*. (فؤاد محمد شبل، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.

إسرائيل شاحاك. (1997). *الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة 3000عام*. (رضى سلمان، المترجمون) بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

جولوفنسكي ماثيو. (٢٠٢٤). *بروتوكولات حكماء صهيون (البروتوكول 11)*. و يكي مصدر.

د. كارنييف. (2006). *اليهود واليهودية في نظر شعوب العالم – رؤية إعلامية*. (محمد علي حوات، المترجمون) القاهرة: مكتبة مدبولي.

روهلنج، و إشيل لوران. (1899). *الكنز المرصود في قواعد التلمود* (المجلد 1). (يوسف نصر الله، المترجمون) مصر: مطبعة المعارف.

زكاء الله محمد عارف. (2007). *الدين والسياسة في أمريكا صعود المسيحيين وأثرهم*. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.

سفر الخروج . (12: 16). الكتاب المقدس لطائفة المسيحيين واليهود (العهد القديم/ الجديد) . مصر : دار الكتاب المقدس.

سفر المكابين الثاني . (3418). الكتاب المقدس لطائفة المسيحيين واليهود (العهد القديم/ التناخوالتوراة. الإصحاح الأول. مصر: دار الكتاب المقدس.

صالح كمال. (18 10, 2023). *ما أبعاد "الصبغة الدينية" الأمريكية للحرب بين المقاومة و"إسرائيل"؟* تم الاسترداد من https://khaleej.online/axWX7V

عمرو الشوبكي. (25 7, 2024). حول خطاب الجماعات الصهيونية المتطرفة. *الشرق الاوسط*.

فندلي بول. (1990). *مَن يجرؤ على الكلام الشعب والمؤسسات في مواجهة اللوبي الإسرائيلي* (المجلد 6). بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

الكتاب المقدس لطائفة المسيحيين واليهود (العهد القديم/ الجديد) (1999). سفر التثنية . (7: 6). مصر. دار الكتاب المقدس.

الكتاب المقدس لطائفة المسيحيين واليهود (العهد القديم/ الجديد) (1999) . اشعياء. (61). مصر: دار الكتاب المقدس.

الكتاب المقدس لطائفية المسيحيين واليهود(العهد القديم/ الجديد). (1999). يوشع (25), مصر : دار الكتاب المقدس.

لغوتسكا اغنيتشكا. (2018). *الجيوبوليتك الجديدة: ما الجديد فعليا في هذا الحقل؟* (جلال خشيب، المترجمون) حلب: مركز إدراك للدراسات والاستشارات.

المسيري عبد الوهاب محمد. (1982). *الإيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة* (الإصدار عالم المعرفة (60)). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

المصري وجدي نجيب. (2013). *البعد التوراتي للإرهاب الإسرائيلي*. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

ميرشايمر جون جي، و ستفن إم والت. (2006). *أمريكا المختطفة: اللوبي الإسرائيلي وسياسة الولايات المتحدة الخارجية*. (فاضل جتكر، المترجمون) الرياض: العبيكان.

Arnold Toynbee. (2006). A Brief Study of History, Part 1. (Fouad Muhammad Shabl, Translators) Cairo: National Center for Translation.

Israel Shahak. (1997). The Jewish Religion and Jewish History, the Weight of 3000 Years. (Rida Salman, Translators) Beirut: Matbouat Company for Distribution and Publishing.

Golovinsky Matthew. (2024). The Protocols of the Elders of Zion (Protocol 11). Wikisource.

Dr. Karneev. (2006). Jews and Judaism in the Eyes of the Peoples of the World - A Media Vision. (Muhammad Ali Hawat, Translators) Cairo: Madbouly Library.

Rohling, and Eshel Laurent. (1899). The Treasure Observed in the Rules of the Talmud (Volume 1). (Youssef Nasrallah, Translators) Egypt: Maaref Press.

Zaka Allah Muhammad Arif. (2007). Religion and Politics in America: The Rise of Christians and Their Influence. Beirut: Al-Zaytouna Center for Studies and Consultations.

The Book of Exodus. (12:16). The Holy Book of Christians and Jews (Old/New Testament). Egypt: The Holy Book House.

The Second Book of Maccabees. (3418). The Holy Bible for Christians and Jews (Old Testament/Tanakh and Torah. Chapter One. Egypt: Holy Bible House.

Saleh Kamal. (18 10, 2023). What are the dimensions of the American "religious color" of the war between the resistance and "Israel"? Retrieved from https://khaleej.online/axWX7V

Amr Al-Shobaki. (25 7, 2024). On the discourse of extremist Zionist groups. Middle East.

Findley Paul. (1990). Who dares to speak? The people and institutions in the face of the Israeli lobby (Volume 6). Beirut: Al-Matbouat Company for Distribution and Publishing.

The Holy Bible for Christians and Jews (Old/New Testament) (1999). Deuteronomy. (7: 6). Egypt. Holy Bible House.

The Holy Bible for Christians and Jews (Old/New Testament) (1999). Isaiah. (61). Egypt: Holy Bible House The Holy.

The Holy Book of Christian and Jewish Sectarianism (Old/New Testament). (1999). Joshua (25), Egypt: The Bible House.

Lutsk Agnieszka. (2018). The New Geopolitics: What's Really New in This Field? (Jalal Khasheeb, Translators) Aleppo: Edrak Center for Studies and Consultations.

Al-Masry Abdel Wahab Mohamed. (1982). Zionist Ideology: A Case Study in the Sociology of Knowledge (The World of Knowledge Edition (60)). Kuwait: The National Council for Culture, Arts and Letters.

Al-Masry Wagdy Naguib. (2013). The Biblical Dimension of Israeli Terrorism. Beirut: Al-Matbouat Company for Distribution and Publishing.

Mearsheimer John G., and Stephen M. Walt. (2006). Hijacked America: The Israeli Lobby and U.S. Foreign Policy. (Fadel Jatkar, Translators) Riyadh: Al-Obeikan.

Newman, D. (2002, June). The geopolitics of peacemaking in Israel–Palestine. *Political Geography*(5).

B. C. (2017). A Peaceful Conquest: Woodrow Wilson, Religion, and the New World Order. *Strategic Visions*(II).

B. R. (1995). *Securing the Covenant: United States-lsrael Relations After the Cold War*. Connecticut & London: Praeger Publishers.

B. S. (2014, April 25). *WASHINGTON*.

C. C. (2012). *The fervent embrace: Liberal Protestants, Evangelicals, and Israel*. New York: New York University Press.

C. S. (2000). Likud and the Christian dispensationalists: A symbiotic relationship. *Israel Studies, Bloomington*(Iss. 1), pp. 153–182.

Carr, E. H. (1945). *Nationalism and After*. London: Macmillan & Co. Ltd.

Cox , R. W., & Schechter, M. G. (2003). *The Political Economy of aPlural World Critical reflections on power, morals and civilization, Routledge,*. London: Routledge: Taylor & Francis Group.
Cox, R. W., & Schechter, M. G. (2003). New York: Taylor & Francis Group.
Cox, R., & Schechter, M. (2003). *The Political Economy of a Plural World Critical reflections on power, morals and civilization.* London, New York: Routledge. Taylor & Francis Group.
E. G. (1982). *The Triangular Confrontation: America. Israel and American Jews.* London, Boston & Sydney: George, Allen & Unwin.
E. S. (2014). United States Policy Toward Israel: The Politics, Sociology, Economics & Strategy of Commitment. *Ph.D. Relations in International*. London School of Economics & Political Science: ProQuest LLC.
Friedman, T. L. (2024). Israel and Saudi Arabia Are Trading Places. *NYT*.
Goitein , S. D. (1988). A Mediterranean Society: The Jewish Communities of the Arab World as Portrayed in the Documents of the Cairo Geniza. *Academia*.
Gomberg, A. R. (2013). The Roots of the U.S. Israel Relationship: How the Cold War Tensions Played a Role in U.S. Foreign Policy in the middle East. *Senior Thesis Submitted In Partial Fulfillment of the Requirements for Honors Department of History*. UNION COLLEGE.
H. K. (2013). An Unusual Relationship: Evangelical Christians and Jews. In Y. Ariel, *An Unusual Relationship: Evangelical Christians and Jews.* Concordia University: Studies in Christian-Jewish Relations.
Hummel, D. G. (2019, March 26). Foreign Policy and Religion: U.S. Foreign Policy Toward Israel. pp. 1 - 26 .
IHRA. (2016, May 26). *non-legally binding working definition of antisemitism.* (I. H. ALLIANCE, Ed.) Retrieved from https://holocaustremembrance.com.
J. G. (2024, 2 29). Secret diplomacy in the Middle East: Negotiations for Saudi Arabia normalization of relations with Israel. (U. d. Navarra, Ed.) *Global Affairs & Strategic Studies (GASS)*.
M. C. (2024, May 22). ICC prosecutor's warrant requests for Israel and Hamas leaders ignite debate about court's role. *The Associated Press*.
M. F. (2009, May). Ask the Rabbis // How Should Jews Treat Their Arab Neighbors? *momen*.
Marsden, G. M. (2006). *Fundamentalism and American Culture* (Vol. 2nd ed). New York: Oxford University Press.
Miller, P. D. (2014). *Survival Global Politics and Strategy Evangelicals, Israel and US Foreign Policy.* Routledge.
N. S., & G. I. (2022). *Modeling the Future of Religion in America: How U.S. religious composition has changed in recent decades.* Washington: Pew Research Center.
O'Connor, T. (2024, May 07). Netanyahu War Crimes Investigation Puts Biden in Tough Spot. *NEWSWEEK DIGITAL LLC*.
Ohana, D. (2019). Mediterraneans or Crusaders? Israel Geopolitical Images between East and West. *EMUNI*(1), p. 12.
Parrington, V. L. (1920). *Main Currents in American Thought: An interpretation of American literature from the beginnings to 1920.* New York: Harcourt - Brace.
R. C., & M. S. (2003). *The Political Economy of aPlural World Critical reflections on power, morals and civilization.* London: Routledge: Taylor & Francis Group.
Schechter, The Political Economy of a Plural World .(2003) .G. Schechter Michael و، W Cox Robert & New York: Routledge. Taylor ,London .*Critical reflections on power, morals and civilization* .Francis Group
Rossinow, D. (2018, March). The edge of the abyss: The origins of the Israel lobby, 1949–1954. (C. U. Press, Ed.) *Modern American History*, pp. 23–43.
S. V., & N. Q. (n.d.). The Abraham Accords and Israel–UAE normalization Shaping a new Middle East. (t. R. Affairs, Ed.) *Chatham House*.
Sabo, A. G. (1977). William James and Friedrich Nietzsche's Revaluation of truth and life. *A thesis submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts*. University of Washington.
Sarna, J. D. (2019, June 25). American Judaism: A History. *JSTOR*.
Smith, R. (2013). *More Desired than Our Owne Salvation The Roots of Christian Zionism.* New York: Oxford University Press.

States, M. U. (2024, Apr 1). *International Relations, Camp David Accords September 17, 1978*. Retrieved from https://www.britannica.com/event/Camp-David-Accords.

Susen, S. (2014). *The Place of Space in Social and Cultural Theory.* Abingdon, UK: Routledge Handbook of Social and Cultural Theory.

WILLIAMS, J. (2019). Samuel Goldman: God's Country: Christian Zionism in America. In S. Goldman, *God's Country: Christian Zionism in America.* University of Pennsylvania Press: Philadelphia: SCJR.